موسوعة العقيدة والأديان

علاء الخضري

٥

اليهودية

بين الوحي الإلهي والانحراف البشري

د. فرج الله عبد الباري
أستاذ العقيدة والأديان



دار الآفاق العربية

اليهودية

بين الوحي الإلهي والانحراف البشري

هذا الكتاب يتحدث عن اليهود من حيث الأسماء التى تطلق عليهم ومصادر عقيدتهم وموجز لتاريخهم، ثم حقيقة التمزق العقدى عندهم والمتمثل فى فرقهم المتباينة - ويعرض الكتاب للإجابة على سؤال - هل لليهود حق فى أرض فلسطين بعد بعثة سيدنا محمد ﷺ؟ يعرض الكتاب للإجابة المفضلة على هذا السؤال ويبين الارتباط العقدى للمسلمين بالقدس وكذلك الربا ط الشرعى - ثم يبين وعد الله بنصر المؤمنين على أرض فلسطين المباركة، ويحاول هذا الكتاب أن يغوص فى عقيدة اليهود فى الألوهية مبينا التعصب الأعمى - ثم الافتراء على الذات الإلهية- متمثلا فى زعمهم أن الله استراح يوم السبت - وعبادتهم للعجل راصدا التأثر اليهودى بالأمم الوثنية.

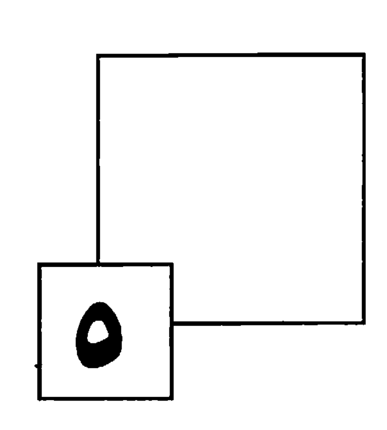
ويعرض الكتاب لوصف اليهود للأنبياء بما لا يليق من الصفات مثل زعمهم أن داود عليه السلام زنا بإحدى نساء جنوده وأن سيدنا نوح سكر، وأن سيدنا لوط زنا بابنتيه.. برأ الله أنبياءه من ذلك.

ثم أشار الكتاب إلى عقيدة البعث عن اليهود ومدى افترائهم على الله وأنبيائه تجلو التوراة التى أنزلها الله على سيدنا موسى عن الحديث عن البعث والجزاء.

حقائق - تلو حقائق يعرض لها الكتاب الذى نأمل أن يسد ثغرة فى بيان عقيدة الآخر تجاه الآخرين.

I.S.B.N. 977 - 344 - 099 - X

موسوعة العقيدة والأديان



اليهودية

بين الوحي الإلهي والانحراف البشري

د. فرج الله عبد الباري
أستاذ العقيدة والأديان



دار الآفاق العربية

نشر - توزيع - طباعة
٥٥ - ش محمود طلعت - من ش الطيران
مدينة نصر - القاهرة
تليفون : ٢٦١٧٢٣٣٩ - تليفاكس : ٢٦١٠١٦٤
E-mail : daralafk@hotmail.com

اسم الكتاب : اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري
اسم المؤلف : د. فرج الله عبد الباري

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/١١٥٤١
الترقيم الدولى : X - 099 - 344 - 977

الطبعة الأولى
٢٠٠٤م



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهذه مباحث وفصول عن اليهود، عمدت فيها إلى بيان ما عند اليهود من تحريف وانحراف، أدى بهم إلى ما نشاهده، وما نسمع عنه من قتل وتشريد للمسلمين، وقد وضعت عقائدهم وتعاليمهم تحت معيار الوحي الإلهي الممثل في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، على اعتبار أنهما المصدران اللذان نرتكز عليهما ونحتكم إليهما.

في المدخل

مهدت بتعريف للدين في اللغة والاصطلاح، وبينت أن الإسلام هو دين الأنبياء جميعًا وأوضحت معنى الملة والنحلة، ثم تحدثت عن الأسماء التي أطلقت على اليهود مثل: العبرانيين، واليهود، وبني إسرائيل.

ثم عقدت مبحثًا لمصادر العقيدة اليهودية المتمثلة في العهد القديم، والتلمود، وبينت التحريف الذى لحق بأسفارهم، والانحراف الذى مارسه أحبارهم في التلمود وكيف أنهم سطروا شرًّا مستطيرًا، زعموا أنه من تعاليم الأنبياء.

ثم تحدثت عن الفرق اليهودية موضحًا الشقاق والاختلاف بين اليهود وإن كان البعض يحسب أنهم مجتمعون، ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤].

ثم تناولت عقيدة شعب الله المختار التي تدفع اليهود إلى احتقار غيرهم من الأمم والشعوب، وتسول لهم القتل والتشريد، ورددت على هذه العقيدة الباطلة، واستعرضت الآيات القرآنية التي تتحدث عن تفضيلهم، وأوضحت

أنها خاصة بعالمي زمانهم، ومرتبطة بمدى التزامهم بتعاليم الأنبياء والرسل.

ثم تحدثت عن تاريخ بني إسرائيل بإيجاز حتى أدحض الفرية التي تقول بأن لهم الحق في فلسطين، ثم تساءلت هل لليهود حق في الأرض المباركة بعد بعثة محمد ﷺ؟ وبالإجابة عن هذا التساؤل ختمت المدخل.

في الفصل الأول: تحدثت عن عقيدة اليهود في الألوهية وعرضت شبهاتهم ومفترياتهم على الله رب العالمين، مثل عبادتهم للعجل وطلبهم رؤيا الله جهرة وطلبهم من موسى أن يجعل لهم إلهًا مثل عبدة الأصنام، ومثل قولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة :٦٤] ، وزعمهم أن الله استراح في اليوم السابع - تعالى الله عن افتراءاتهم علوًا كبيرًا - وكنت أصور شبهتهم من كتبهم ثم أدحضها بالحق المبين المتمثل في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، مستأنسًا بفهوم علماء الإسلام في توجيه الردود عليهم.

أما الفصل الثاني: فتعرضت فيه للأنبياء عند اليهود، وكيف أنهم أنزلوا الأنبياء منزلة البشر العاديين، ولم يراعوا للأنبياء عصمة ولا حرمة.

وعرضت ما قالوه عن سيدنا نوح عليه السلام، ووصفه بالسكر، والحيف والظلم لأبنائه، ثم أردفت ذلك بحديث القرآن الكريم عن سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام مدحضًا ومكذبًا اليهود في مزاعمهم.

ثم عرضت ما قالوه عن سيدنا لوط عليه السلام من زعمهم أنه زنى بابنتيه.. وذلك بالرجوع إلى أسفارهم الحالية، ثم أوردت ما ذكره القرآن الكريم عن سيدنا لوط،وكيف وصفه القرآن بأعظم الصفات، ونجاة ومن آمن معه.

ثم ختمت هذا الفصل بحديث أسفار اليهود عن سيدنا داود عليه السلام، وكيف وصفوه بالزنى والقتل، والمكر والخداع.

فاستعرضت آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن داود عليه الصلاة

والسلام ووصفه بالأواب، وغيرها من الصفات الكريمة.. وبينت أن الذى ذهب إليه اليهود من ارتكاب الأنبياء للمعاصي، يوافقهم عليه النصارى، زعمًا منهم أنه ليس أحد منزه عن الخطايا إلا المسيح عليه الصلاة والسلام، وبينت الخلفية الباطلة عند النصارى لهذه الجزئية.

أما الفصل الثالث: فكان عن عقيدة البعث والجزاء عند اليهود، ناقشت فيه خلو التوراة الحالية عن البعث والجزاء وسبب ذلك، ثم بينت التحريف الذى أدخله العلماء اليهود على الكتب المنزلة من عند الله، وعقدت مقارنة بين ما ورد في القرآن الكريم، والعهد القديم عن البعث والجزاء، وخرجت بنتيجة مؤكدة وهي أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذى لم يبدل ولم يغير، بينما اليهود مارسوا التحريف اللفظي والمعنوي، الأمر الذى أدى بهم إلى الانحراف السلوكي والأخلاقي ذلك الانحراف الذى لم تشهد البشرية مثيلاً له على طول تاريخها.

وأخيرًا وليس آخرًا، أسأل الله أن يتقبل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وأن يرزقني الذود عن الإسلام الحنيف، خاصة في هذا الوقت الذى تتكالب فيه الأمم على الإسلام والمسلمين.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور :٥٥] .

«وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب»

أ . د/ فرج الله عبد الباري أبو عطا الله

أستاذ العقيدة والفلسفة

جامعة الأزهر

المدخل

ويشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: الدين وتعريفه.

المبحث الثاني: الملة وإطلاقاتها.

المبحث الثالث: النحلة ومعناها.

المبحث الرابع: الأسماء التي تطلق على اليهود.

المبحث الخامس: مصادر العقيدة اليهودية.

المبحث السادس: الفرق اليهودية.

المبحث السابع: اعتقاد اليهود بأنهم شعب الله المختار والرد عليهم.

المبحث الثامن: موجز تاريخ بني إسرائيل.

المبحث التاسع: هل لليهود حق في فلسطين بعد بعثة محمد ﷺ؟

المبحث الأول

الدين وتعريفه

يعرف الدين في اللغة بأنه الديانة واسم لجميع ما يُعبد به الله، والملة، والإسلام والسيرة والعادة، والحال والشأن، والورع، والحساب، والملك، والسلطان، والحكم، والقضاء، والتدبير» [١].

والمتأمل في اشتقاق الكلمة وطرق استعمالها يجد أن هذه المعاني الكثيرة التي تعنيها كلمة الدين تعود في نهاية الأمر إلى ثلاثة معان تكاد تكون متلازمة.

بيان ذلك:

أن كلمة الدين تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه «دانه يدينه» وتارة أخرى من فعل متعد باللام «دان له»، وتارة من فعل متعد بالباء «دان به».

وباختلاف الاشتقاق تختلف المعاني التي تعطيها الصيغة. فعلى سبيل المثال:

(١) إذا قلنا «دانه دينًا» عنينا بذلك أنه ملكه، وحكمه، وساسه ودبره، وقهره، وحاسبه، وقضى في شأنه، وجازاه، وكافأه.

فالدين بهذا الاستعمال يدور على معنى الملك، والتصرف بما هو من شأن الملوك من السياسة، والتدبير، والحكم، والقهر، والمحاسبة.

وقد استعمل القرآن الكريم الدين بهذه المعاني:

[أ] بمعنى الحساب والجزاء في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾

---

(١) انظر المعجم الوسيط (١/ ٣٠٤).

[الفاتحة :٤] . وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة :٨٦-٨٧] .

[ب] بمعنى النظام والملك في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف :٧٦] أي في نظام أو مُلك مَلِك مصر في هذا الوقت.

[ج] بمعنى الحكم في قوله ﷺ «الكيس من دان نفسه» أي حكمها وضبطها و«الديّان» الحكم القاضي. وبمعنى القضاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور :٢] أي في قضائه وحكمه» [1].

(٢) وإذا قلنا «دان له» أردنا أنه أطاعه وخضع له، فالدين هنا هو الخضوع والطاعة والعبادة الورع. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر :١١] أي له الطاعة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥][2] ومن أحسن طاعة.

وقد استخدم الدين في أشعار العرب بهذا المعنى في قول عمرو بن كلثوم:

وأيام لنا غرٌّ طوال عصينا الملك فيها أن ندينا

أي أن نطيعه ونتبع قوله، ونأتمر بأمره[3].

(٣) وإذا قلنا «دان بالشيء» كان معناه أنه اتخذه دينًا ومذهبًا أي اعتقده أو اعتاده أو تخلّق به، فالدين على هذا هو المذهب والطريقة التي يسير عليها الإنسان ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون :٦] أي طريقتكم التي تتبعونها في عبادتكم ومعاملاتكم، ولي ديني وطريقتي التي علمني الله إياها وأرشدني إليها وأمرني بها[4].

---

(١) الكليات لأبي البقاء (٢/ ٣٢٨، ٨٢٩).
(٢) انظر: المفردات للراغب ص (١٧٧، ١٧٨).
(٣) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (٦).
(٤) الدين: للدكتور عبد الله دراز ص (٢٦) ومقارنة الأديان ص (٦).

وأخيرًا يطلق الدين على الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ شاملاً العقيدة والشريعة لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة :٣] .

ويقول الدكتور دراز في تعليقه على الاستخدامات اللغوية لمادة «دين» **(ونستطيع أن نقول إن المادة كلها تدور على معني لزوم الانقياد فإن الاستعمال الأول، الدين هو إلزام الانقياد، وفي الاستعمال الثاني هو بالتزام الانقياد وفي الاستعمال الثالث هو المبدأ الذى يلتزم الانقياد به)** [١].

الدين شرعًا:

يعرف الدين في لسان الشرع بأنه **«وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات»** [٢].

ويعرف أيضًا بأنه **«ما شرعه الله تعالى على لسان الأنبياء لتبيين الأحكام»** [٣].

الدين في اصطلاح علماء الأديان:

لقد اختلف الباحثون اختلافًا كبيرًا في تعريف الدين في الاصطلاح. وقد أورد الدكتور دراز عليه رحمة الله أكثر من أربعة عشر تعريفًا كل واحد من هذه التعريفات قد اكتفى بجانب واحد من جوانب الدين[٤].

ونستطيع أن نستخلص تعريفًا موجزًا للدين في اصطلاح علماء الأديان وهو عبارة عن **«الخضوع والتذلل لبعض الكائنات والاحتماء بها، وتقديم القرابين لإرضائها سواء أكانت هذه الكائنات محسوسة كالشمس والقمر، والصنم والوثن، أو**

(١) الدين ص (٢٧) بتصرف يسير.

(٢) البيجوري على جوهرة التوحيد ص (١٤).

(٣) نفسه.

(٤) انظر هذه التعريفات والتحليلات القيمة التي أوردها الدكتور دراز لهذه التعريفات، الدين ص (٢٩ - ٣٤).

غير محسوسة كالأرواح الخفية التي كانوا يتقربون إليها. أي أنه جملة من المبادئ العامة وضعها بعض الناس ليسيروا عليها ويعملوا بما فيها»[(١)].

وواضح من هذا التعريف أنه يشمل الدين بمعناه العام فهو يشمل الديانة المصرية القديمة والفارسية والبوذية، وغيرها من الأديان الوضعية ويدخل فيها بلا شك التحريفات التي أدخلها اليهود والنصارى على دين موسى وعيسى عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

وإذا كنا نحكم بالوضعية على كل دين فإننا يجب أن نميز بين الدين الحق، والأديان الباطلة، فالدين الحق هو الإسلام.. ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران :١٩] .

وما دام الأمر كذلك فلا بد أن نشير إلى دين الأنبياء، وأصحاب الرسالات الذين ورد ذكرهم في القرآن لنستعرض الآيات التي تحدثت عن أن الإسلام هو دين الأنبياء من قبل محمد ﷺ.

الإسلام دين الأنبياء جميعًا:

فهو دين سيدنا نوح، وسيدنا إبراهيم، وسيدنا يعقوب وأبنائه وعلى رأسهم سيدنا يوسف، وهو دين سيدنا موسى وسيدنا داود وسليمان، وسيدنا عيسى وعلى رأس المسلمين جميعًا سيدنا رسول الله ﷺ.

والقرآن الكريم يتتبع الأنبياء ويعلن على لسانهم أن دينهم هو الإسلام:

(١) سيدنا نوح يقول كما حكى القرآن الكريم على لسانه: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس :٧٢] .

(٢) سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، يقول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة :١٣١] .

---

(١) انظر مقارنة الأديان ص (٧).

(٣) سيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام، يقول تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

(٤) سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام، يقول تعالى على لسانه: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

(٥) وسيدنا موسى يأمر قومه بالإسلام، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

(٦) وسيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام في قصة ملكة سبأ، حكى القرآن الكريم أنه دعاها إلى الإسلام، يقول تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠-٣١].

ويعبر عن دينه فيقول: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤٢].

(٧) وملكة سبأ أعلنت أنها دخلت في دين الإسلام: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

(٨) سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام كانت دعوته ودينه هو الإسلام: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

(٩) وسيدنا رسول الله ﷺ يعلن كما أخبر بذلك القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

(١٠) بل إن الجن أنفسهم الذين بلغتهم دعوة النبي ﷺ قد أعلنوا الإسلام يقول تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٤].

(١١) وأهل الكتاب لما سمعوا القرآن الكريم: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ﴾ [القصص :٥٣] .

(١٢) وبعد هذه الآيات كلها يبين القرآن الكريم: أن الدين المقبول عند الله والناجي أصحابه في الآخرة هو الإسلام.. يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران :١٩] . ويقول تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران :٨٥] .

ونحن إذ نعرض هذه الآيات لنبين أن أي إنسان يهودي أو نصراني يسمع بالإسلام ودعوته ثم لا يؤمن فهو من أصحاب النار يخلد فيها أبد الآبدين مثل الكفار والمشركين. ومعنى الإيمان هنا التصديق بمحمد ﷺ والنطق بالشهادتين والعمل بمقتضاهما. يقول رسول الله ﷺ «**والذى نفسي بيده ما من يهودي ولا نصراني يسمع بالذى جئت به ثم لا يؤمن إلا كان من أصحاب النار**»[1] .

ولا بد من الإشارة إلى بعض النصوص القرآنية التي يمكن أن تُفهم على غير حقيقتها ولنبين وجه الحق فيها حتى نزيل اللبس أمام الذين يريدون أن يميعوا دين الله وشرع الله حين يستشهدون زورًا وبطلانًا بهذه النصوص ليبرهنوا من خلالها أن اليهود من الممكن أن يكونوا من الناجين هم والنصارى وأبرز هذه النصوص قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة :٦٢] .

وأكثر ما نسمع هذه الآية والاستشهاد بها حين يكون الكلام عن السلام مع اليهود أو في معرض الحديث عن الوحدة الوطنية مع النصارى تضيع الحدود العقدية الفاصلة بين الحق والباطل وتؤول الآيات إن لم تحرف من أجل المنهزمين عقائديًا وحضاريًا.

---

(١) انظر هامش الطحاوية ص (١٧٠) والحديث أخرجه مسلم تحت رقم (١٥٣).

يقول الشهيد سيد قطب في ظلاله عن معنى الآية السابقة: والذين آمنوا يعني بهم المسلمين، والذين هادوا هم اليهود، والنصارى هم أتباع عيسى عليه الصلاة والسلام، والصابئون الأرجح أنهم تلك الطائفة من مشركي العرب (قبل البعثة) الذين ساورهم الشك فيما كان عليه قولهم من عبادة الأصنام فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرضونها فاهتدوا إلى التوحيد وقالوا: إنهم يتعبدون على الحنيفية الأولى ملة إبراهيم، واعتزلوا عبادة قومهم دون أن تكون لهم دعوة فيهم فقال عنهم المشركون: إنهم صبئوا أي مالوا عن دين آبائهم كما كانوا يقولون عن المسلمين بعد ذلك.

والآية تقرر أن من آمن بالله واليوم الآخر من هؤلاء جميعًا وعمل صالحًا فإن لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فالعبرة بحقيقة العقيدة لا بعصبية جنس أو قوم، وذلك طبعًا قبل البعثة المحمدية. أما بعدها فقد تحدد شكل الإيمان الأخير.

فالآية تتحدث عمن كانوا قبل البعثة فلا نجاة لأحد إلا بدخوله في دين محمد ﷺ وهو الإسلام.

يقول تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء :٦٥] .

فأهل الكتاب من اليهود والنصارى الآن كفار ومشركون وأديانهم أديان وضعية بقي فيها بعض الأشياء الصحيحة والذى يحكم بصحة هذه الأشياء إنما هو الإسلام وكتابه القرآن ونبيه الخاتم محمد ﷺ.

* * *

المبحث الثاني

الملة وإطلاقاتها في اللغة والاصطلاح

من المصطلحات الشائعة في دراسة الأديان الملة ـ فلزم أن نحقق معناها اللغوي والشرعي ـ وإطلاقاتها في القرآن والسنة حتى يتبين لنا مدى توافقها مع معنى الدين من الناحيتين اللغوية والشرعية.

أولاً: الملة في اللغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور أن الملة تطلق على الشريعة والدين وفي الحديث «لا يتوارث أهل ملتين»، وتطلق الملة على الدين حقًا كان أو باطلاً كملة الإسلام كدين حق، وملة النصرانية واليهودية كدينين باطلين[١]. وتطلق الملة على الشرك أيضًا.

وتطلق الملة على الطريقة، ثم نقلت إلى الشرائع من حيث إن الأنبياء يعلمونها ويسلكونها[٢]، وتطلق الملة على الطريقة المسلوكة والسنة، ويرى بعضهم أن ذلك من إملال الكتاب، لأن السنة تُمَلُّ، وتكتب ليعمل بها ويرى آخرون أن ذلك من قولهم طريق ممل ومليل مسلوك مُعَدَّة للسير، والملة تُوطأ للناس ليسيروا عليها[٣].

* * *

(١) لسان العرب (٦/ ٤٢٧١)، وانظر مختار الصحاح ص (٥٦٤).
(٢) الكليات لأبي البقاء (٢/ ٣٢٨، ٣٢٩).
(٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم المجلد الثاني من الشين إلى الياء ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٠م مجمع اللغة العربية.

ثانيًا الملة في الاصطلاح الشرعي:

تطلق الملة في الشرع على ما شرعه الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتوصل بها إلى جوار الله[١]، ومن ثم فهي تطلق على الدين من هذا الوجه.. يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام :١٦١] .

ثالثًا: إطلاقات الملة في القرآن والسنة:

وردت كلمة الملة في القرآن الكريم بمعنى الدين حقًا كان أو باطلاً. فمن ورودها بمعنى الدين الحق قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠] . وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة :١٣٥] .

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران :٩٥] .

إن الملة أطلقها الله سبحانه وتعالى في هذه الآية على الإسلام الخالص الصريح الذى لا يرغب عنها وينصرف إلا ظالم لنفسه مستهتر بها. إن اليهود والنصارى كانوا يزعمون أنهم على ملة إبراهيم، ولكن الله يدلهم على حقيقة دين إبراهيم وأنه الميل عن الشرك. ويؤكد هذه الحقيقة مرتين: مرة بأنه كان حنيفًا، ومرة بأنه ما كان من المشركين، فما بالهم هم المشركون[٢].

ويقول جل وعلا ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨] .

---

(١) المفردات للراغب الأصفهاني ص (٤٩٢).

(٢) انظر في ظلال القرآن (١/ ١٠٩ - ١١٠) وانظر ص (٤٢٨).

والمعنى اتبعوا ملة إبراهيم، لأنها داخلة في ملة محمد ﷺ، فإن قيل فما وجه قوله ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ [الحج :٧٨] وليس كل المسلمين يرجع نسبهم إلى إبراهيم؟ قيل: خاطب به العرب وهم كانوا من نسل إبراهيم، وقيل: خاطب به جميع المسلمين وإبراهيم أب لهم على معني وجوب احترامه وحفظ حقه كما يجب احترام الأب[١].

وهذه الإطلاقات جميعها تشعر بأنه ليس ثمة فرق بين الدين الصحيح وبين الملة في إطلاق الشرع.

يقول أستاذنا الدكتور/ عوض الله حجازي: «**لقد ظهر لي بعد البحث الدقيق واتضح لنا بعد المراجعة الواسعة أنه ليس هناك فرق واضح بين الدين والملة شرعًا لأن الله تعالى قد أطلق الملة على الدين الحق في كثير من آيات القرآن الكريم**»[٢]. وقد استعرضنا آيات القرآن الكريم التي تبين أن الملة ترد بمعنى الدين الحق.

وإذا كان هناك من فرق بين الدين الحق والملة، فذلك الفرق لغوي لا شرعي.

يذكر أبو هلال العسكري في كتابه الفروق: «**الفرق بين الدين والملة . أن الملة : اسم لجملة الشريعة، والدين اسم لما عليه كل واحد من أهلها ألا ترى أنه يقال فلان حسن الدين، ولا يقال حسن الملة، وإنما يقال هو من أهل الملة وتقول ديني دين الملائكة، ولا تقول ملتي ملة الملائكة لأن الملة اسم للشرائع مع الإقرار بالله، والدين ما يذهب إليه الإنسان ويعتقد أنه يقربه إلى الله تعالى وإن لم يكن فيه شرائع مثل دين أهل الشرك، فاليهودية ملة، لأن فيها شرائع وليس الشرك ملة، وقد يسمى كل واحد من الدين والملة باسم الآخر في بعض المواضع لتقارب معنيهما**»[٣].

وهذا التوضيح من «أبي هلال» يضبط مصطلح الملة وإطلاقاتها حتى يكون

---

(١) مختصر تفسير البغوي (٢/ ٦١٩).
(٢) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (٩، ١٠).
(٣) الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص (٢١٤).

المرء على بينة من كلامه خاصة فيما يتعلق بمصطلحات الأديان.

ويضيف الشهرستاني بعدًا آخر في التفريق بين الدين والملة إذ يقول: «**إن الإنسان لما كان محتاجًا إلى اجتماع مع الآخرين من بني جنه في إقامة معاشه والاستعداد لميعاده ، وذلك الاجتماع يجب أن يكون على شكل يحصل به التمانع والتعارف حتي يحفظ بالتمانع ما هو أهله، ويحصل بالتعاون ما ليس له فصورة الاجتماع على هذه الهيئة هي الملة**»[(١)].

فقد نظر الشهرستاني إلى الاجتماع على هيئة أو مبدأ وأطلق عليه اسم الملة ولكنه يبين أن الملة وضعها لا يتصور إلا بوضع شارع «أي نبي» يكون مخصوصًا من الله بآيات تدل على صدقه[(٢)]، أي أن الملة التي يجتمع عليها لا بد وأن تكون على الحق.

إطلاق الملة في القرآن الكريم على الدين الباطل:

يقول تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠][(٣)]. أورد السيوطي في لباب النقول عن الثعلبي عن ابن عباس قال: إن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي ﷺ إلى قبلتهم، فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة شق ذلك عليهم وأبوا إلا أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١٢٠] ، ونلاحظ هنا أن الملة الواردة في الآية يراد بها الدين الباطل بدليل قول الله عز وجل للنبي ﷺ في نفس الآية: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠] .

ومن ذلك أيضًا قول الله تعالى في سورة الأعراف ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص (٣٨).

(٢) نفسه ص (٣٨).

(٣) انظر: لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي بهامش المصحف ص (٢٨).

مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف :٨٨-٨٩] ، فالملة هنا استعملت بمعنى الدين الباطل ومنه قوله تعالى: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص :٧][١] والملة هنا يعني بها النصرانية كما ورد عن ابن عباس ومقاتل والكلبي أو المقصود بها ملة قريش ودينهم كما ورد عن مجاهد وقتادة[٢].

إطلاقات الملة في السنة:

نأتي هنا ببعض استخدامات الملة في السنة حتى نتبين المقصود بإطلاقاتها، ودلالاتها.

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يتوارث أهل ملتين**»[٣].. فقد ذهب الجمهور إلى أن المراد بالملتين الكفر والإسلام، فيكون كحديث «**لا يرث المسلم الكافر**»[٤].

وهناك إطلاق آخر للملة في السنة بمعنى الدين الحق فقد وردت رواية لحديث «**كل مولود يولد على الفطرة**» أي على الملة بدلاً من الفطرة في قوله ﷺ «ما من مولود إلا ويولد على الملة» بدلاً من الفطرة، والدين في قوله ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ﴾ [الروم :٣٠] هو عين الملة كما يقول ابن حجر[٥].

وإطلاقات الملة في الأحاديث التي أوردناها لم تخرج عما ورد في القرآن أي أن الملة تأتي أحيانًا بمعنى الدين الحق، وقد وردت في السنة بمعني

---

(١) انظر تفسير البغوي (٢/ ٧٩٧) والجلالين ص (١٣٧).

(٢) رواه أحمد والأربعة إلا الترمذي وأورده صاحب سبل السلام (٤/ ١٥١).

(٣) نفسه (١/ ١٥٢).

(٤) فتح الباري (٣/ ٢٩٣) بتصرف يسير.

(٥) نفسه.

التوحيد في قول النبي ﷺ في أذكار الصباح «**أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين**»[١].

فملة إبراهيم الواردة في الحديث هي التوحيد، ودين محمد ﷺ ما جاء به من عند الله قولاً وعملاً واعتقادًا، وكلمة الإخلاص هي: شهادة أن لا إله إلا الله، وفطرة الإسلام هي:ما فطر عليه عباده من محبته وعبادته وحده لا شريك له، والاستسلام له عبودية وذلاً وانقيادًا وإنابة وتأتي أحيانًا بمعني الدين الباطل،وقد أوردنا شواهد على ذلك[٢].

* * *

(١) الحديث أخرجه أحمد (٣/ ٤٠٦، ٤٠٧)، والدارمي (٢/ ٢٩٢)، والنسائي في عمل اليوم والليلة، وابن السني من حديث عبد الرحمن بن أبزي وسنده صحيح انظر هامش الطحاوية ص٥٤.
(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز ص (٥٤) مؤسسة الرسالة.

المبحث الثالث

النحلة في اللغة والاصطلاح

النحلة في اللغة:

تطلق النحلة في اللغة على عدة معان منها: الدعوى نقول انتحل فلان شعر فلان أو قول فلان إذا ادعى أنه قائله وتنحله ادعاه وهو لغيره.

ونحله القول ينحله نحلاً نسبه إليه ونحلْتُه القول أنْحِلُهُ نَحْلاً إذا أضفت إليه قولاً قاله غيره وادعيته عليه وفلان ينتحل مذهب كذا إذا انتسب إليه، ودان به، نحله شيئًا أعطاه من ماله وخصه به[١].

والنحلة العطية ومنه قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء :٤] أي عطية ومنحة خالصة.

والنحلة الديانة والمذهب، ومنه كتاب الملل والنحل[٢].

وقد وردت النحلة في السنة بمعني العطية. ورد في صحيح مسلم: «**إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل ما نحلته عبدًا حلال**» معني نحلته أعطيته[٣].

وهذه المعاني كلها تدور حول العطية والهبة والانتساب إلى الشيء وادعائه بالحق أو بالباطل.

(١) انظر لسان العرب (٦/ ٤٣٦٩)، والقاموس المحيط (٤/ ٣٣٨).

(٢) محيط المحيط للبستاني (٢/ ٢٠٤٩)، وانظر الرائد ص (١٤٨٨)، ومعجم متن اللغة ج٥ الشيخ أحمد رضا.

(٣) مسلم بشرح النووي (١٧/ ١٨) ص (١٩٧) باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

النحلة في الاصطلاح:

تطلق علي المذهب أو الديانة أو ما ينتسب إليه المرء من دين أو مذهب[١] أو هي: المذاهب المتشعبة عن كل دين بتعدد المجتهدين[٢]. كما يقول: «التهانوي»، وقد استعمل ابن حزم النحلة بمعني التمسك بالسنة، يقول في كتابه الفصل «وثبت بذلك عند كل منصف من المخالفين صحة قولنا: إن كل من خالف دين الإسلام، ونحلة السنة ومذاهب أصحاب الحديث فإنه عارف بضلال ما هم عليه (أي اليهود والنصاري)[٣].

ثم يقول «فنحمد الله كثيرًا على ما هدانا له من الإسلام ونحلة السُّنة واتباع الآثار الثابتة»[٤].

و«ابن حزم» بصنيعه هذا يعد مخالفًا لإجماع العلماء على التغاير بين الملة والنحلة والمذهب.

يقول أستاذنا الدكتور/ عوض الله حجازي معلقًا على نص «ابن حزم»: عطف ابن حزم «السنة ومذاهب أصحاب الحديث على دين الإسلام وهو فيما يبدو من عطف المترادفات ذلك أنه ليست السنة مخالفة لدين الإسلام وليس مذهب أصحاب الحديث خارجًا عنه»[٥] وهذا التغاير عند «ابن حزم» رأي له لا ينقض ما اشتهر بين العلماء من التغاير بين الملة والنحلة والمذهب عمومًا. وهذا التغاير هو ما نذهب إليه مع أستاذنا الدكتور «عوض الله حجازي» مخالفة لما ذهب إليه (ابن حزم) في فصله.

* * *

(١) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (١٠).
(٢) كشاف اصطلاحات الفنون (٦/ ١٣٣٩).
(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٩٤) مكتبة السلام العالمية.
(٤) نفسه.
(٥) مقارنة الأديان ص (١١).

الفرق بين الدين والملة والشريعة:

أورد «أبو هلال العسكري» في كتابه «الفروق» ما ملخصه: «**الفرق بين الدين والملة أن الملة اسم لجملة الشريعة، والدين اسم لما عليه كل واحد من أهلها. ألا ترى أنه يقال: فلان حسن الدين ولا يقال: فلان حسن الملة، وإنما يقال هو من أهل الملة.**

ويقال لخلاف الذمي: الملي نسب إلى جملة الشريعة.. فلا يقال له ديني.. ونقول: ديني ودين الملائكة، ولا نقول ملتي وملة الملائكة لأن الملة اسم للشرائع مع الإقرار بالله.

وكل ملة دين وليس كل دين ملة، واليهودية ملة لأن فيها شرائع»[١].

الفرق بين الدين والشريعة:

إن الشريعة الطريق المأخوذ فيها إلى الشيء ومن ثَمَّ سُمي الطريق إلى الماء شريعة، ومشرعة، وقيل الشارع لكثرة الأخذ فيه والدين ما يطلبه المعبود ولكل واحد منا دين وليس لكل واحد منا شريعة، فالشريعة في هذا المعني نظير الملة إلا أنها تفيد ما يفيده الطريق المأخوذ ما لا تفيده الملة.

ويقال شرع في الدين شريعة كما يقال طرق فيه طريقًا والملة تثبت استمرار أهلها عليها[٢].

* * *

(١) الفروق في اللغة: أبو هلال العسكري - دار الآفاق - بيروت ١٩٧٣م.

(٢) انظر الفروق في اللغة ص (٢١٦) بتصرف.

المبحث الرابع

الأسماء التي تطلق على اليهود

يطلق على المنتسبين إلى سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ثلاثة أسماء:

أولاً العبرانيون:

وهذا الاسم يعني العبور من مكان إلى مكان آخر سواء كان من شط نهر إلى شط آخر أو من مكان على الأرض إلى مكان غيره.

وقد ورد في سفر يشوع ما يفيد ذلك «**لأن الرب إلهكم قد يبس مياه الأردن من أمامكم حتى عبرتم كما فعل الرب إلهكم ببحر سوف الذى يبسه من أمامنا حتي عبرنا لكي تعلم جميع شعوب الأرض يد الرب أنها قوية لكي تخافوا الرب إلهكم كل الأيام**»[١].

والبعض يذهب إلى أنهم سُموا عبرانيين نسبة إلى أحد أجداد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ويدعى «عابر» وهو الذى أتى بهم إلى فلسطين[٢] وقد سماهم بهذا الاسم الكنعانيون.

ورد في سفر التكوين (وسام أبو كل بني عابر أخو يافث الكبير ولد له أيضًا بدون»[٣]. ومعلوم أن سام ويافث أولاد سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام.

---

(١) سفر يشوع ٤: ٣ ـ ٢٤.

(٢) انظر قاموس الكتاب المقدس ص (٥٢٦).

(٣) انظر سفر التكوين ١٠: ٢١، ٢٤، ٢٥. وانظر ١١: ١٤ ـ ١٧. وانظر ١٤ ـ ١٥.

ولفظ العبرانيين كان يدل على غربة الشعب[١] إذ كان المصريون مثلاً يطلقون على أولاد سيدنا يعقوب لفظ العبرانيين، ورد هذا على لسان امرأة العزيز كما ورد في التوراة الحالية ما نصه: (وكان لما رأت لأنه ترك ثوبه في يدها وهرب إلى خارج أنها نادت أهل بيتها وكلمتهم قائلة انظروا قد جاء إلينا برجل عبراني ليداعبنا دخل معي ليضطجع معي فصرخت بصوت عظيم)[٢].

ونلاحظ أن امرأة العزيز تقول عن يوسف عليه الصلاة والسلام أنه عبراني، ونفس الوصف يذكر على لسان رئيس سعاة الملك يقول للملك **«وكان هناك معنا غلام عبراني عبد لرئيس الشرطة فقبضنا عليه»**[٣].

وهذا يدل على أن العبرانيين كانوا كثير التنقل والارتحال من مكان إلى آخر وهذا شأن الرعاة وكانت هذه التسمية تدل على أن كلمة عبراني تستخدم للمقابلة بين اليهود وغيرهم ثم تطورت هذه التسمية خاصة بعد التشتت والسبي وأصبح مصطلح اليهود هو الغالب.

وأراد اليهود أن يميزوا بين اليهود الأصليين وبين الدخلاء، ولهذا أصبحت لفظة عبرانيين تدل على اليهود المقيمين في فلسطين واليهود المتغربين الذين حافظوا على عاداتهم وتقاليدهم القديمة، وكذلك الدخلاء في اليهودية فلم يحسبوا إلا يهودًا وهؤلاء لا يحق لهم الاشتراك في نعم الشعب الخاصة[٤].

والرأي الذى نميل إليه هو أنهم سموا بالعبرانيين لكثرة انتقالهم وارتحالهم من مكان إلى آخر، وقد كان هذا المعروف عنهم عند الأمم الذين جاوروهم أو عاشوا معهم.

---

(١) انظر الكتب التاريخية في العهد القديم ص ٢١ ـ ٣٠.
(٢) تكوين ٣٩: ١١ ـ ١٢.
(٣) تكوين ٤١: ١٢ـ ١٣.
(٤) مراد كامل. الكتب التاريخية في العهد القديم ص (١٤).

ثانيًا الإسرائيليون:

وردت كلمة إسرائيل في القرآن الكريم وكان يقصد بها سيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام. يقول تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران :٩٣] .

وكلمة إسرائيل كلمة عبرانية مركبة من مقطعين الأول: إسرا، والثاني: إيل. وقد اختلف العلماء في معناها:

ففريق يذهب إلى أن «إسرا» بمعني عبد أو صفوة، و «إيل» بمعني الله، فيكون المعني عبد الله أو صفوة الله.

وفريق ثان يذهب إلى أن «إسرا» بمعني الحكم (يحكم إيل أو إيل يحكم) أي الله يحكم».

وفريق ثالث يذهب إلى أن «إسرا» معناه قوة، جندي، ويجاهد، يصارع[1] وإلى الفريق الثاني يذهب قاموس الكتاب المقدس[2].

هذا عن معناه.. أما إطلاقه فهو يطلق على:

١ـ يعقوب عليه الصلاة والسلام، والذى أطلقه عليه الملاك الذى صارعه حتى مطلع الفجر كما تزعم التوراة الحالية أن يعقوب صارع الله، وانتصر يعقوب عليه ومن ثمَّ سُمى يعقوب بمعني قوة الله، أو مصارع الله، أو يجاهد الله.

٢ـ على نسل يعقوب جميعا فاستعمل كمرادف لبني إسرائيل ففي الشعر العبري كثيرًا ما نجد يعقوب في صدر البيت ويقابلها إسرائيل في

---

(١) انظر هذه الآراء كلها في رسالة الدكتوراة للدكتور: «فتحي الزغبي» تأثر اليهودية بالأديان القديمة ص (٤٣) نشر دار البشير طنطا.

(٢) انظر قاموس الكتاب المقدس ص (٥٩٦)

عجزه أو العكس بالعكس[1].

وقد أطلق هذا الاسم على أبناء يعقوب وهو بعد في حياته، وأحيانًا كان بنو إسرائيل أثناء التيه في البرية يلقبون بإسرائيل[2].

٣ـ يطلق هذا الاسم على العشرة أسباط الذين انشقوا وانفصلوا عن يهوذا وبنيامين وقد استخدم القرآن الكريم هذا الاسم في كثير من المواضع مرة على يعقوب كما مر، ومرات عديدة على أبنائه في إحدى وأربعين مرة[3].

وهذه التسمية يفخرون بها ويعتزون لأنهم يعتقدون أن الله هو الذى غير اسم يعقوب إلى إسرائيل هذا من ناحية..، ومن ناحية أخرى فالاسم فيه دلالة على الوعد والرجاء وإشارة إلى مجدهم، وهم تحت إسرائيل ينتظرون ملكوت الله والخلاص من أعدائهم.

وقد استخدم السيد المسيح هذه التسمية، انظر يوحنا ١١: ٤٧، ولوقا ١: ٤٥، وكان رسل المسيح حين يخاطبون اليهود ينادونهم بهذه التسمية حتى يستميلوهم. انظر أعمال الرسل ٢: ٢٢، ٣: ١٢[4].

وليس أدل على حب اليهود لهذا الاسم من إطلاقهم اسم إسرائيل على دولتهم المزعومة التي اغتصبوا أرضها وشردوا أهلها تحت سمع وبصر من يتشدقون بحقوق الإنسان، ومكافحة الإرهاب ويغضون البصر عن إرهاب الدولة!!!

ثالثًا: اليهود:

[١] يذهب البعض إلى أن اليهود سموا بذلك أخذًا من قوله تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف :١٥٦]

(١) العدد ٢٣/ ٧، ومزامير ١٤/ ٧.

(٢) خروج: ٣٢ - ٤، تثنية ٤: ١.

(٣) اليهودية وتأثرها بالأديان القديمة ص (٤٥).

(٤) الكتب التاريخية في العهد القديم ص (١٧، ١٨).

أي رجعنا وتبنا إليك.

[٢] وفريق آخر يذهب إلى أن كلمة اليهود مأخوذة من «يهوذا» أحد أبناء يعقوب الاثنى عشر للدلالة على أحد أفراد هذا السبط وقد ذهب إلى هذا غالبية النصاري[١] وبعض المسلمين. يقول الجواليقي: اليهود: أعجمي معرب منسوبون إلى يهود ابن يعقوب بإهمال الدال[٢]. وهم قد نسبوا إلى هذا الابن بناء على ما كان جاريًا في ذلك الزمان من نسبة الأهل إلى رأس القبيلة أو السبط[٣].

[٣] وفريق يذهب إلى أنهم سموا باليهود لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة.

[٤] وفريق رابع يقول إنهم سموا «يهودا» لأنهم إذا جاءهم نبي أو رسول هادوا أي رجعوا إلى ملكهم فدلوه عليه ليقتلوه. وقد صرح القرآن الكريم بذلك بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠] وهذا ما أميل إليه لأن القرآن الكريم يكثر من ذكرهم باسم اليهود عندما يشير إلى كفرهم وجحودهم وافترائهم على الله تعالى.

* * *

(١) قاموس الكتاب المقدس ص (١٨٤).

(٢) الكليات لأبي البقاء ص (١٣٢).

(٣) اليهودية وتأثرها بالأديان القديمة ص (٤٧).

المبحث الخامس

مصادر العقيدة اليهودية

لكل ديانة مصادر تستمد منها عقيدتها وشريعتها.

ولما كانت اليهودية إحدى الديانات التي احتوت على قضايا العقيدة والشريعة فلابد أن نبين المصادر التي يرجع اليهود إليها في استخراج عقائدهم وتعاليمهم وشرائعهم.

المصدر الأول: العهد القديم:

وهو عبارة عن مجموعة الأسفار التي كتبها رجال المجمع الأكبر الذى تأسس عقب العودة من السبي البابلي، وكان مؤلفًا من مائة وعشرين عضوًا ينظرون في شئون الشعب، وسمى بالعهد القديم تمييزًا له عن العهد الجديد «مجموعة الأناجيل وتعاليم الرسل» التي يقدسها النصاري.

ويشتمل العهد القديم على ثلاث مجموعات من الأسفار:

الأولى من هذه المجموعات:

التوراة: ومعناها «البشرى أو التشريع» وتطلق على الأسفار الخمسة وهي:

١- التكوين: ويتحدث عن إقامة بني إسرائيل في مصر وميلاد موسى وتجلي الله له ودعوته إلى خروج بني إسرائيل من مصر إلى سيناء ونزول الوصايا العشر وعبادة بني إسرائيل للعجل.

٢- الخروج: وهو يهتم بخروج اليهود من مصر وهلاك فرعون.

٣- اللاويين: هو سفر يهتم بالتشريع وتقديم الطقوس والقرابين، كما يتحدث عن الطهارة، وأهميتها وأيام العطلة والأعياد.

٤- العدد: وهو سفر يتحدث عن إحصائيات شعب إسرائيل وأنسابه وقبائله وما حدث للشعب في سيناء حتى دخول أرض الميعاد.

٥- التثنية: وهو سفر يعني التكرار، والتثنية لشريعة موسى ويحتوي على الأيام[١] الأخيرة لسيدنا موسى وخبر وفاته ووصيته كما يتضمن توزيع الأراضي على الأسباط، ويزعم اليهود أن موسى هو الذى كتب التوراة أي الأسفار الخمسة التي ينسبونها إليه وهم كاذبون في ادعائهم لأن الأسفار الخمسة كتبت بعد موسى بفترة طويلة.

والدليل على كذبهم ما هو الموجود في أحد تلك الأسفار وهو سفر التثنية إذ ذكر في هذا السفر كيف مات موسى عليه الصلاة والسلام، فإذا كان موسى هو الذى كتب تلك الأسفار فكيف يكتب عن موته ودفنه؟؟

ورد في سفر التثنية ما نصه:

«فعندما كمل موسى كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حاملي عهد الرب قائلًا: خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون شاهدا عليكم»[٢].

والنص السابق يوضح أن موسى هو الذى كتب التوراة وسوف يتضح لنا كذب هذا الزعم عند تأمل النص الآتي في نفس السفر إصحاح ٣٤ حيث ورد فيه ما نصه:

«وقال له الرب هذه هي الأرض التي قسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلًا لنسلك أعطيها. قد أريتك إياها بعينيك ولكنك إلى هناك لا تعبر. فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى اليوم»[٣].

(١) اليهود تاريخًا وعقيدة ص (١٢٨ - ١٢٩).
(٢) سفر التثنية ٣١: ٢٤ - ٢٦.
(٣) سفر التثنية ٣٤: ٤ - ٦.

وبالتامل في هذا النص، والنص السابق يتضح لنا الآتي:

١ـ أن النص السابق يبين أن موسى أكمل كتابة التوراة بتمامها.

٢ـ أن الفقرة التي في النص الثاني يقينًا ليست من التوراة حسب النص الأول.

٣ـ أن اليهود متفقون على أن الفقرة في النص الثاني من التوراة.

٤ـ أن التناقض يظهر هنا لأن النص الثاني فيه «**فمات هناك موسى عبد الرب**» فكيف يكون موسى كتب عن حال موته بداهة؟ لابد أن يكون كاتب هذه الأسفار غير موسى عليه الصلاة والسلام.

٢- المجموعة الثانية:

أسفار الأنبياء وينقسم إلى قسمين:

١ـ الأنبياء المتقدمين ويحتوي على ثمانية أسفار وهي: سفر يشوع، والقضاة، وصموئيل الأول، والثاني، والملوك الأول، والثاني، وأخبار الأيام الأول والثاني.

٢ـ الأنبياء المتأخرين ويضم أربعة عشر سفرًا: أشعياء، وأرمياء، وحزقيال، ويوئيل، وعاموس، وعوبديا، ويونان، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفينا، وحجاي، وزكريا، وملاخي.

وكل هذه الأسفار تحتوى على مجهود هؤلاء الأنبياء من أجل تقوية بني إسرائيل وبيان سبب غضب الرب عليهم.

٣- المجموعة الثالثة: الكتابات والأسفار:

وتضم الأسفار التالية: الزبور، الأمثال، نشيد سليمان، أيوب، وراعوث، وهوشع، ومراثي أرميا، والجامعة، وأستير، ودانيال، وعزرا، ونحميا.

هذه هي محتويات العهد القديم وهناك مجموعة أخرى من الأسفار تسمى

«بالأبوكريفا» أي الأسفار غير الشرعية[١].

كيف دونت أسفار العهد القديم؟

يكاد العلماء يجمعون على أن الكتابة بدأت في القرن السادس قبل الميلاد بعد السبي البابلي، واستمر زمن الكتابة فترة طويلة تحت مؤثرات مختلفة وقصة تدوين التوراة وكتابتها هي قصة التحريف والتبديل، هذا لأن الله تعالى أمر سليمان عليه الصلاة والسلام أن يضع التوراة في التابوت وقد ظل هذا التابوت إلى عهد سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام إلى أن ارتد بنو إسرائيل إلى عبادة الأوثان وتعرض بيت المقدس للسلب والتدمير إلى أن استولى ملك اسمه «يوشيا بن أمون» وقد مال إلى التدين والرجوع إلى تعاليم موسى.

فاستغل بعض الكهنة ذلك الاتجاه وادعى كاهن اسمه «حلقيا» بعد سبعة عشر عامًا من حكم هذا الملك أنه عثر على التوراة في البيت المقدس وكانت تلك المرة هي الأولى التي تظهر فيها التوراة بعد أن ظلت قرابة خمسمائة عام لا يقرؤها أحد ، ثم ظهرت التوراة بعد ذلك مرة ثانية على يد كاهن آخر اسمه «عزرا» ٤٤٤ ق. م وقد انتهز هذا الكاهن فرصة الهيام الديني عند اليهود حينما عادوا من الأسر البابلي إلى أورشليم ثم بنوا الهيكل من جديد انتهز (عزرا) هذه المناسبة فجمع اليهود ثم أخبرهم أنه عثر على أسفار الشريعة ثم أخذ يقرؤها عليهم أسبوعًا كاملا[٢].

المصدر الثاني: التلمود:

يعد التلمود هو المصدر الثاني في الأهمية بعد العهد القديم، وهو عبارة عن التقاليد والتعاليم الشفاهية التي ألقاها موسى النبي على أمته أثناء تدوين

(١) انظر اليهود تاريخًا وعقيدة ص ١٢٨ - ١٣٠ بتصرف.

(٢) انظر في تدوين العهد القديم مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (١٤١)، واليهود تاريخًا وعقيدة ص (١٤١)، والمؤلف الضخم الذى كتب عن هذا الموضوع كتابة علمية وافية اليهودية وتأثرها بالأديان القديمة - د/ فتحي الزغبي - نشر مكتبة البشير بطنطا.

التوراة فتلقاها الخلف عن السلف بالحفظ إلى أن دونها «سي ويهوذا هناسي» ومن جاء بعده[١].

هكذا يعبر عنه اليهود، ويعتبرون أن تعاليمه في غاية الأهمية إذ إنه اختص ببعض الأحكام والأخبار والوصايا التي لم ترد في العهد القديم.

اقسامه:

يتكون التلمود من قسمين:

الأول: المشناة وهي الأصل. ومعنى المشناة بالعبرية المعرفة وتعني أيضًا التكرار أو الشريعة المكررة، لأن شريعة موسى المعروفة في الكتب الخمسة وردت مكررة في هذه المشناة مع توضيح وتفسير ما التبس منها.

الثاني: الجمارا. وهي شرح للمشناة.

الجمارا: عبارة عما أضيف إلى هذه الشريعة (المشناة) فيما بعد بقصد استكمالها. والجمارا أو الشرح نوعان:

١ـ جمارا أورشليم (أي فلسطين) ويرجع تاريخها إلى سنة ٤٠٠م.

٢ـ جمارا بابل وقد دونها علماء اليهود في بابل وانتهوا منها حوالي ٥٠٠م.
وعلى هذا الأساس انقسم التلمود نتيجة للشرح إلى قسمين:

الأول: التلمود الفلسطيني.

الثاني: التلمود البابلي.

وأساس الاختلاف بين التلمودين هي الجمارا أى الشرح.. فإن اليهود وإن اتفقوا على المشناة فقد اختلف البابليون من اليهود عن اليهود في فلسطين في شرح التلمود ومظهر الاختلاف بينهما من حيث الكم والكيف فعبارة تلمود أورشليم تعتبر ثلث ما يحتويه التلمود البابلي، من ناحية الكم.

(١) انظر التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص (٣) ترجمة عن العبرانية، وشرحه شمعون يوسف موبال ـ مطلبعة العرب ١٩٠٩م.

أما من ناحية الكيف فإن تلمود فلسطين ينقصه العمق والشمول اللذان يمتاز بهما التلمود البابلي. ومرد ذلك أن تلمود فلسطين كتب على عجل وفي ظروف قاسية بسبب الاضطهاد الروماني لليهود.

أما التلمود البابلي فقد ألف وجمع في فترة استغرقت قرنًا من الزمان[١].

طبعات التلمود:

طبع التلمود الذى عليه العول والاعتماد لدى اليهود الآن، في طبعة كاملة نشرت في البندقية بإيطاليا فيما بين ١٥٢٠: ١٥٢٣م، أما نسخة بازل فقد خضعت للرقابة الكنسية التي حذفت منها أشياء كثيرة. ثم طبعة أمستردام ١٦٤٤م، ١٢٥٨م، وهي لم تشوه كثيرًا رغم خضوعها للرقابة، ثم الطبعة المعتمدة هي طبعة روما المنشورة في فيينا سنة ١٨٨٦م في عشرين مجلدًا[٢].

وجدير بالذكر أن التلمود يعد من أندر الكتب في العالم على الإطلاق وكما يقول شوقي عبد الناصر، وأستطيع أن أؤكد أنه لا يوجد منه في العالم أجمع أكثر من خمس نسخ إحداها موجود في مصر محفوظة حفظ الوثائق الشديدة الأهمية، وقد استلزم وصولها من مكانها الأصلي إلى مصر وضع خطة أشبه بخطط الجاسوسية التي نقرأ عنها في الكتب البوليسية واستغرق تنفيذها بصبر وحرص وتكتم شديد ثلاث سنوات كاملة[٣].

نماذج من التلمود:

أولاً: الألوهية:

يقول التلمود إن النهار اثنتا عشرة ساعة في الثلاث الأولى منها يجلس الله

---

(١) انظر مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (١٤٥، ١٤٦).

(٢) التلمود تاريخه وتعاليمه: ظفر الإسلام خان ص (٢٧).

(٣) من مقدمة كتاب بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود ـ شوقي عبد الناصر.

ويطالع الشريعة وفي الثلاث الثانية يحكم وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم، وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويكب مع الحوت ملك الأسماك.

ولم يلعب الله مع الحوت بعد هدم الهيكل ومن ذلك الوقت لم يمل إلى الرقص مع حواء بعد أن زينها بملابسها ونسق لها شعرها، وقد اعترف الله بخطئه في هدم الهيكل وهو يبكي ويمضى ثلاثة أرباع الليل يزأر كالأسد قائلاً: تبًا لي لأني أمرت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي، وشغل الله مساحة أربع سنوات فقط بعد أن كان ملء السموات والأرض في جميع الأزمان وعندما يسمع الله تمجيد الناس به يطرق برأسه ويقول «**ما أسعد الملك الذى يمدح ويبجل مع استحقاقه لذلك، ولا يستحق شيئًا من المدح الأب الذى يترك أولاده في الشقاء**»[1].

وهذا الكلام عن الله لم ينحط إلى مثله أحد في تاريخ الأديان، ولكن اليهود قتلة الأنبياء والمفترون على الله لا يستبعد منهم هذا الكلام، وهذا قليل من كثير يفيض به التلمود والعهد القديم.

ثانيًا: المسيح واليهود:

ورد في التلمود عندما يأتي المسيح تطرح الأرض فطيرًا وملابس من الصوف وقمحًا وحبة في حجم كلاوي الثيران الكبيرة.. وحينئذ ترجع السلطة لليهود وكل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له.. وفي هذا الوقت يكون لكل يهودي ألفان وثمانمائة عبد يخدمونه وثلاثمائة وعشرة أكوان تحت سلطته.

ويعيش اليهود في حرب طاحنة مع باقي الشعوب في انتظار ذلك اليوم وسيأتي المسيح الحقيقي ويحقق النصر المنتظر ويقبل المسيح إذ ذاك هدايا جميع الشعوب ولكنه يرفض هدايا المسيحيين.

---

(١) انظر من التلمود ص (٢٥، ٢٦) هدية مجلة منبر الإسلام العدد الخامس جمادى الأولي ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م، وانظر التلمود تاريخه وتعاليمه.

وتكون الأمة اليهودية يومئذ غاية في الثراء لأنها تكون قد ملكت كل أموال العالم[١]، ومن العجب أنه بالرغم من هذا كله فإن الدول المسيحية الكبرى هي التي تساند إسرائيل وتدافع عنها بالباطل وما استخدام (الفيتو الأمريكي) عنا ببعيد في كل المواقف بلا استثناء.

وصدق الله العظيم حين يقول ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة:١٠٥][٢].

ثالثًا: المرأة:

ورد في التلمود: أنه مصرح للإنسان أن يسلم نفسه للشهوات إذا لم يستطع مقاومتها بشرط أن يكون ذلك سرًا.

وجاء به أيضًا أن الرابي «اليعازر» فتك بكل نساء الدنيا. وليس للمرأة اليهودية أن تشكو زوجها إذا ارتكب الزنا في مسكن الزوجية.

ولعل هذا يفسر لنا أن كبرى المؤسسات التي تعمل على ترويج الفاحشة وراءها اليهود من شركات للسينما ولأدوات التجميل ولبيوت الأزياء العالمية إذا بحثت وجدت أن اليهود من وراء تلك الشركات والمؤسسات وهي تحقق أهدافهم من ناحيتين:

الأولى: شيوع التحلل والفساد في كافة الأمم ليتسنى لليهود السيطرة عليها.

الثانية: المال الوفير الذى يعود على تلك المؤسسات التي تعمل في هذه المجالات، مما يساعد على استثماره مرة أخرى في مشاريع أكثر تخريبًا للأرواح والأجساد.. وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة:٦٤] .

---

(١) من التلمود ص (٤٠، ٤١).

(٢) من التلمود ص (٦٨ - ٦٩).

المبحث السادس

الفرق اليهودية

تشعبت اليهود إلى أكثر من فرقة وجماعة منذ عهد سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام لأنهم لم يجتمعوا على أمر.. يقول سبحانه ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف :١٦٠] .

يقول الرازي: «**إنه تعالى فرق بني إسرائيل اثنتي عشرة فرقة لأنهم كانوا من اثنى عشر رجلًا من أولاد يعقوب فقطعهم فرقًا وميز بعضهم عن بعض**»(١).

ويبدو أن هذا التفرق لم يبق على هذا العدد بل زاد مع الأيام وبلغت فرقهم كما قال ﷺ «**إحدى وسبعين فرقة**»(٢).

وهذه الفرق بينها من الاختلاف في الأصول والفروع من الفروق ما يوحي بأن كل فرقة لها دين مستقل عن الأخرى، وإذا كانوا في الظاهر يحسبهم المسلمون على قلب رجل واحد إلا أنهم متفرقون.. يقول سبحانه ﴿لَا

---

(١) التفسير الكبير (٨/ ٣٥).

(٢) نص الحديث: عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**تفترق اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**» رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح. انظر مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع ص (٤٩ ـ ٥٠) د/ ناصر العقل ـ دار الوطن ـ الرياض.

يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾ [الحشر :١٤] أي أن قلوبهم شتى جمع شتيت أي متفرقة لا ألفة بينها يعني أن بينهم إحنًا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس واحدة وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم(١).

وقد اجتهد علماء الفرق والأديان في رصد الافتراق لدى اليهود قديمًا وحديثًا، وكان من الفرق التي تحدثوا عنها الفرق الآتية:

ولاً: الفريسيون أو الربانيون:

كلمة فريسيون مشتقة من كلمة «فروشيم» العبرية أي «المفروزين» أي الذين امتازوا عن الجمهور وعزلوا عنه وأصبحوا لعلمهم وورعهم واتصالهم بأسرار الشريعة من الصفوة المختارة(٢).

وهذه الفرقة تعد من أكثر الفرق اليهودية وأكثرها عددًا، وهم يرون أنهم على الحق وأن ما عداهم على الباطل، وتتمثل مبادؤهم في:

[١] أن التوراة قديمة وأن الأسفار الخمسة موجودة منذ الأزل.

[٢] أن الشريعة اليهودية لا تؤخذ من التوراة فحسب، وإنما من التعاليم الشفوية «التلمود».

[٣] أن «الحاخامات» أي علماء الشريعة اليهودية، معصومون من الخطأ، ولذلك اشتهر عنهم هذا القول «يلزم المؤمن (أي اليهودي) أن يعتبر أقوال الحاخامات كالشريعة لأن أقوالهم قول الله الحق فإذا قال لك الحاخام: «إن يدك اليمنى هي اليسرى أو العكس فصدقه وحاذر أن تخالفه»(٣).

---

(١) روح المعاني للألوسي (١٥/ ٨٤).

(٢) الفكر الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ص (٢٥٢).

(٣) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (١٧٦ - ١٧٧).

[٤] بالغوا في تفضيل أنفسهم حتى على الملائكة فقالوا: يوجد لدى اليهود صلاة عديمة المثال يصلونها باللغة الكلدانية، والملائكة يجهلون هذه اللغة حتى إنهم يحسدون اليهود على صلاتهم، واليهودي هو الإنسان فقط وباقي الناس حيوانات في صورة إنسان هم حمير وكلاب وخنازير(١).

وهذه التعبيرات هي التي تصدر عن حاخامات اليهود الآن.. يقول: «عوقديا يوسف زعيم حزب شاس الديني» إن العرب حشرات وحيوانات ولا يستحقون العيش وأنهم غير آدميين(٢).

ومما هو جدير بالذكر أن حزب الليكود على عقيدة هذه الفرقة، وقد لاقى المسيح عليه الصلاة والسلام منهم أشد الأذى والاضطهاد كما تذكر الأناجيل(٣). وكان منهم «بولس» اليهودي الذى أدخل الوثنية إلى دين عيسى الحق.

ثانيًا الصدوقيون:

ينسبون إلى رجل يقال له صادوق(٤) رئيس الكهنة أيام داود وسليمان عليهما السلام، ومن عائلته حفظت رئاسة الكهنوت حتى عصر المكابيين فسمي أنصاره وخلفاؤه صدوقيون، وكانوا ضد تقليد الآباء، ومالوا إلى الفلسفة اليونانية، وأنكروا وجود الملائكة والأرواح، ورفضوا الإقرار بالقيامة والثواب في الجسد بدعوى أن النفس تموت مع الجسد، وأن النص التوراتي يخلو من أي إشارة إلى ميعاد أو حساب(٥).

---

(١) الكنز المرصود في تعاليم التلمود ص (٥٩) وما بعدها.

(٢) انظر مجلة البيان العدد ١٦٧ رجب ١٤٢٢ هـ / أكتوبر ٢٠٠١م ص (١٠٨).

(٣) انظر لوقا ١١ - ٤٣، ولوقا ١١ - ٤٤ - ٤٧.

(٤) الفصل لابن حزم (١/ ٨٢).

(٥) الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص (١٣٥) د/ عبد المنعم الحنفي - دار المسرة - بيروت ١٩٨٠م.

وتقوم معتقداتهم على الآتي:

(١) الاعتقاد في أن عزيرًا ابن الله ـ تعالى الله عن ذلك ـ ويرى ابن حزم أنهم يقولون بذلك من بين سائر اليهود[١].

(٢) أنكروا البعث والجزاء بناء على رفضهم الإيمان بالتلمود والتعاليم الشفوية التي ينسبون كتابته إلى الفريسيين ألد أعدائهم.

(٣) لا يؤمنون إلا بالأسفار الخمسة ولا يرون لها أي قدسية لأن الأحبار في رأيهم زادوا عليها وأنقصوا منها.

(٤) لا يؤمنون بالغيبيات كالملائكة والشياطين والجن، وأيضًا لا يؤمنون بالقضاء والقدر، ويرون أن الإنسان له الحرية المطلقة في خلق أفعاله.

(٥) يعتقدون بالتقية فإذا أحسوا بالخطر من غيرهم تظاهروا بالولاء له وأخفوا له الكراهية. وهذه سمة ليست خاصة بهم عن غيرهم من اليهود وإنما هذا دين اليهود جميعهم[٢].

ثالثًا: السامرية:

جماعة من اليهود كانوا يسكنون جبال بيت المقدس والقرى المجاورة[٣] ويقولون: إن مدينة القدس هي نابلس وهي من بيت المقدس على ثمانية عشر ميلاً ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظمونه[٤].

وأهم معتقداتهم:

(١) أن لهم توراة غير التي بأيدي اليهود ومن الفروق الجوهرية بين توراتهم وتوراة غيرهم أن التي في أيديهم فيها نص واحد[٥] على الحساب والجزاء

---

(١) الفصل لابن حزم (١/ ٨٣).

(٢) انظر اليهود واليهودية ص (٩٩ ـ ١٠٠) الدكتور سيد فرج ـ دار الوفاء ـ المنصورة.

(٣) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (١٨٣).

(٤) الفصل لابن حزم (١/ ٨٢).

(٥) التوراة السامرية ـ سفر التثنية ٣٤ ـ ٣٨.

ويرون أنه صريح في الإشارة للبعث والقيامة.

(٢) يعتقدون في نبوة «موسى)(هارون)(يوشع» وينكرون جميع الأنبياء بعد ذلك.

(٣) يتشددون في الطهارة أكثر من سائر اليهود.

(٤) يتوجهو من في قبلتهم إلى جبل يقال له «غريم» أو «جزيم» بين بيت المقدس ونابلس، قالوا إن الله تعالى أمر داود أن يبني بيت المقدس بجبل نابلس وهو الطور الذى كلم الله عليه موسى، ولكن داود خالف الأمر وبنى البيت بإيلياء[1].

افتراق السامرية: افترقت السامرية إلى فرقتين:

١. الكوستانية:

ومعناها الجماعة الصادقة، وهم يقرون بالحياة الآخرة ويؤمنون بها وبالثواب والعقاب في إطار الفهم اليهودي الخاص بهم.

٢. الدوستانية:

ومعناها الفرقة المتفرقة الكاذبة.

ويبدو أن كثيرًا من اليهود ينفون عن السامريين الانتساب إلى بني إسرائيل ووصل الحد باليهود أن يطلقوا على هذه الفرقة بقسميها «جيران السباع» ونظرًا لما يلاقونه من ازدراء فقد عاشوا في عزلة وجهل وقليل منهم من يعرف القراءة والكتابة[2].

رابعًا: الكتبة:

هذه الفرقة كما يظهر من التسمية كانت تشتغل بكتابة التوراة ونسخها لمن يريد مقابل أجر معلوم من المال. ولكن نظرًا لكثرة كتابتهم للتوراة فإنهم

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل (٢/ ٤٨).

(٢) الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ص (٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١).

ألموا ببعض تعاليم التوراة.. وبمرور الزمن أمكنهم أن يتحولوا من مجرد كتبة ونساخ إلى معلمين ووعاظ ومرشدين.

ونظرًا للتطور الذى حدث لدى اليهود من جراء ما وقع بهم، صار لرجال الدين عندهم توجيه للسياسة وانشغال بها مع التعليم، ومن ثم قام هؤلاء الكتبة بإنشاء المدارس التي يقوم أعضاء هذه الفرقة بتعليم الناس الأمر الذى جعل لهم تلاميذ ومريدين، وأكثر من ذلك أصبحت لهم تعاليم خاصة هي تعاليم التلمود.

ويرد البعض سبب نشأة التلمود إلى الكتبة الذين ادعوا أن موسى لم يترك شريعة مكتوبة فقط وإنما ترك إلى جانبها تعاليم شفوية. وبسبب هذه التعاليم غير المكتوبة ضل اليهود كما ضلوا من قبل بالتحريف والتبديل في تعاليم موسى عليه السلام[(١)].

خامسًا: العنانية:

تنسب هذه الفرقة إلى رجل يقال له «عنان بن داود» رأس الجالوت، وهم يعترفون بعيسى عليه الصلاة والسلام، ولكن لا يقرون بنبوته وإنما يقولون هو من أولياء الله ويزعمون أن عيسى لم يدع النبوة والرسالة.

وتتلخص عقائدهم في الآتي:

(١) يصدقون عيسى في مواعظه وإشاراته ويقولون: إنه لم يخالف التوراة ألبتة إلا أنهم لا يقولون بنبوته ولا رسالته. وفي الوقت ذاته يعتبرون أن اليهود ظلموه من حيث إنهم كذبوه بداية ولم يعرفوا بعد دعواه.

(٢) يخالفون سائر اليهود في السبت والأعياد، ويقتصرون على أكل الطير، والظباء، والسمك.

---

(١) انظر مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (١٧٨ - ١٧٩) بتصرف.

ويبدو أن الكتبة قاموا بدور مشئوم في مواجهة السيد المسيح عليه السلام. تذكر الأناجيل كثيرًا من المواجهات بينهم وبين المسيح عليه السلام. انظر متى ١٢ - ١٣، متى ٢٣: ١ - ٨، ٢٣: ١٣ - ٢٣.

سادسًا: العيسوية:

ظهرت هذه الفرقة ونسبت إلى رجل يدعى (أبا عيسى بن يعقوب الأصفهاني» وقيل اسمه «عوفيد ألوهيم».

ابتدأ دعوته في عهد بني أمية، فاتبعه بشر كثير من اليهود وادعوا له آيات ومعجزات وزعموا أنه لما حورب خط إلى أصحابه خطًّا، وقال أقيموا في هذا الخط فليس ينالكم عدو بسلاح فكان العدو «يقصد المسلمين» يحملون عليهم حتى إذا بلغوا الخط رجعوا عنهم خوفًا من طلسم أو عزيمة.

وتتلخص آراؤهم في الآتي:

(١) تزعم هذه الفرقة أن «أبو عيسى» نبي ورسول المسيح المنتظر، وأن الله كلفه أن يخلص بني إسرائيل من أيدي الأمم الغاصبين.

(٢) زعم أن المسيح أفضل أولاد آدم، ولما كان هو رسوله فهو أفضل الناس كذلك.

(٣) حرم على أتباعه الذبائح كلها، ونهى عن أكل كل ذي روح على الإطلاق طيرًا كان أو بهيمة.

(٤) أوجب على أتباعه عشر صلوات في اليوم والليلة وأمر أصحابه بإقامتها.

هذه الآراء جعلت فضيلة أستاذنا الدكتور عوض الله حجازي يذهب إلى أن هذه الفرقة أقرب إلى الفرق النصرانية منها إلى اليهودية. والذى دعاه إلى ذلك هو كثرة كلام الفرقة وزعيهما عن المسيح.

والذى يترجح لدي أن هذه الفرقة يهودية بآرائها وشعائرها، أما حديثها عن المسيح، فهذا قاسم مشترك بين الفرق اليهودية مع الاختلاف فيما بينها حول النظرة للمسيح إيجابًا وسلبًا. مع ملاحظة أن اليهود ينتظرون مسيحًا يأتي آخر الزمان يلتفون حوله ويحقق لهم النصر في زعمهم.

سابعًا: المقاربة أو اليوذعانية:

تنسب هذه الفرقة إلى «يوذعان» رجل من همدان، وقيل كان اسمه: يهوذا[(١)].

أهم آراء هذه الفرقة:

(١) يزعم صاحبها أن للتوراة ظاهرًا وباطنًا، وتنزيلاً وتأويلاً.

(٢) خالف اليهود في كثير من تأويلاته وخالفهم في التشبيه وقال بنفي الصفات عن الله.

(٣) كان يذهب إلى القول بالقدر، وأثبت الفعل حقيقة للعبد وقدر الثواب والعقاب عليه[(٢)].

(٤) قالوا إن الذى كلم موسى عليه الصلاة والسلام تكليمًا هو الملك، فإن الله تعالى يتنزه عن أن يكلم بشرًا[(٣)].

ثامنًا: الموشكانية:

أصحاب «موشكا» وكان على مذهب «يوذعان»[(٤)].

وتتلخص آراء هذه الفرقة في الآتي:

(١) وجوب الخروج على مخالفيهم ونصب القتال معهم.

(٢) أثبتوا نبوة محمد ﷺ إلى العرب وسائر الناس سوى اليهود لأنهم أهل ملة وكتاب[(٥)].

هذه الفرق هي الفرق القديمة التي تحدث عنها مؤلفو الملل والنحل

---

(١) الملل والنحل اللشهرستاني بهامش الفصل (٢/ ٤٦).

(٢) نفسه.

(٣) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (١٨٢).

(٤) الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل (٢/ ٤٦).

(٥) نفسه، وانظر ردنا على شبهة العيسوية، والموشكانية في عدم بعثة محمد ﷺ إلى اليهود، نقض دعوى عالمية النصرانية وإثبات بعثة محمد ﷺ. حولية أصول الدين ـ العدد الثامن ـ سنة ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م.

والأديان، أما الفرق الحديثة، فهي كثيرة ومتشعبة وتختلط آرائها العقدية بالآراء السياسية، وسوف نكتفي بالحديث عن أهم فرقة يهودية حديثة نشأت في المجتمع الإسلامي في تركيا ألا وهي:

فرقة يهود الدونمة:

الدونمة كلمة من تركيب عامي مركبة من «دو» أي اثنين «فارسية الأصل) (نمة» أو «منه» بمعنى نوع أي الفرقة القائمة على نوعين من الأصول النوع «اليهودي» والنوع الإسلامي، ولذلك عدل أبناء هذه الفرقة عن تلك التسمية وسموا فرقتهم «بالمؤمنين) (الرفاق) (المجاهدين»[١].

وهذه الفرقة تنتسب إلى أحد اليهود ويدعى «شبتاي صبي» ادعى أنه المسيح المنتظر والتف حوله اليهود، ليقودهم إلى الخلاص، ولكن لما قبضت عليه السلطات التركية وقدمته للمحاكمة تظاهر بالدخول في الإسلام. وقد اعتقد كثير من أتباعه أن ارتداده عن اليهودية إلى الإسلام تلبية لأمر خفي من الرب وتنفيذًا للإرادة الإلهية، ومن ثم بقي هو وأتباعه يتمسكون بالتقاليد اليهودية[٢].

ونظرًا للازدواجية التي عاشها «يهود الدونمة» بين التعاليم الإسلامية والتعاليم اليهودية فلم يعرف أحد عددهم بالضبط إلا على وجه التقريب، ويذكر أن عددهم وصل إلى ما بين عشرة آلاف وخمسة عشر ألفًا قبل الحرب العالمية الأولى.

وقد تم أخيرًا إزاحة النقاب عن سر هذه الجماعة بعد أن نجحت طويلاً في إخفاء حقيقة أمرها عن المسلمين واليهود على السواء فقد ظهرت وثائق ومخطوطات كشفت عن عدميتهم المتأصلة وبعدهم التام عن الإسلام

---

(١) الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ص (٣١٠).

(٢) انظر اليد الخفية ص (١٠٠ - ١٠١) للدكتور عبد الوهاب المسيري - مكتبة الأسرة.

واليهودية، وقد فشلت جميع المحاولات التي بذلت لإقناعهم بالهجرة إلى إسرائيل[١].

أهم المعتقدات:

(١) الزواج سنة واجبة، وهو غير ممكن إلا بين رجل وامرأة من أبناء الطائفة ويستحسن عقد الزواج يوم الاثنين والخميس.

(٢) تعدد الزوجات محرم عليهم.

(٣) ينعقد الزواج على يد رئيس الطائفة الذى يبارك العروسين سبع مرات ثم تتم الزفة باللغة العبرية بالموسيقى والغناء.

(٤) الختان شريعة مفروضة عليهم.

(٥) لهم مدافن خاصة بهم وتختلف مراسم الحداد عندهم عن سائر اليهود. فهي تشبه ما تعوده المسلمون[٢].

وقد انقسمت هذه الفرقة إلى فرق أخرى منها:

١ـ الأزميرلية. ٢ ـ القنيهلية. اليعقوبية[٣].

ويلاحظ أن الفرق اليهودية كثيرة ومتشعبة، فمنها على سبيل المثال لا الحصر: القناءون، والأسينيين، والأبيؤيين، والغنوصية، والصابئة، واليودجانية، والقراءون، والمارانوس، والإصلاحيون، والفلاشة، وبنو إسرائيل[٤].

وإنما اكتفينا بإبراز هذه الفرق، وبالذات التي لها آراء عقدية.

---

(١) نفسه ص (١٠٣)، وانظر التصور اليهودي للمسيح وعلاقته بالتقارب المسيحي المعاصر، ففيه بحث عن المسحاء الكذابين وعلى رأسهم حديثًا «شبتاي صبي» زعيم يهود الدونمة، وانظر أيضًا الاختراق اليهودي للمجتمعات الإسلامية نشأته وتطوره للمؤلف، ففيه تفصيل عن علاقة كمال أتاتورك بيهود الدونمة.

(٢) الفكر الديني أطواره ومذاهبه ص (٣١١ ـ ٣١٢).

(٣) اليد الخفية ص (١٠٢).

(٤) انظر في هذه الفرق: الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ص (٢٦٠/ ٣٢٢).

المبحث السابع

اعتقاد اليهود بأنهم شعب الله المختار والرد عليهم

اعتقد اليهود أن الله اصطفاهم وميزهم عن بقية الشعوب واستشهدوا بنصوص من أسفارهم المقدسة يؤكدون من خلالها أنهم شعب الله المختار وأنهم أبناء الله وأحباؤه وأن الرب وعدهم بالأراضي المجاورة لهم وإحلال البركة عليهم وتكثير نسلهم كنجوم السماء، وسوف نعرض بعض النصوص التي استدلوا بها من أسفارهم المقدسة ونناقشهم في زعمهم، ثم نعرض الآيات القرآنية التي تحدثت عن تفضيل الله لهم. وهذه النقطة جوهرية إذ لاعتقادهم بأنهم شعب الله المختار ثم نزول المصائب عليهم وإحلال الهزائم بهم وإذلال الأمم المجاورة لهم ونفيهم وتشريدهم كل هذه الأمور جعلتهم يفكرون في المنقذ المخلص كفكرة خيالية يهربون بها من الواقع إلى الأمل حتى يستطيعوا التوفيق بين عقيدتهم وبين ما ينزل بهم وما ينتظرهم مستقبلاً.

ولنعرض نصوصهم ثم نتبعها بالمناقشة:

[١] ورد في سفر التكوين: «وقال الرب لإبرام بعد اعتزال لوط عنه ارفع عينيك وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمالاً وجنوبًا وشرقًا وغربًا، لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد وأجعل نسلك كتراب الأرض حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضًا يُعَدُّ»(١).

[٢] وفي نفس السفر أيضًا: «أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرًا كنجوم

(١) سفر التكوين ١٣: ١٤ - ١٧.

السماء وكالرمل الذى على شاطئ البحر ويرث نسلك باب أعدائه يتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولي»(١).

[٣] وورد في سفر اللاويين: «فتتقدسون وتكونون قديسين لأني أنا الرب إلهكم وتحفظون فرائضي وتعلمونها أنا الرب مقدسكم»(٢).

وورد في نفس السفر «وتكونون لي قديسين لأني قدوس أنا الرب وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي»(٣).

[٤] في سفر التثنية: «وتأتي عليك جميع هذه البركات وتدركك إذا سمعت لصوت الرب إلهك مباركًا تكون في دخولك ومباركًا تكون في خروجك يجعل الرب أعداءك القائمين عليك منهزمين أمامك، في طريق واحدة يخرجون عليك وفي سبع طرق يهربون أمامك يأمر لك الرب بالبركة في خزائنك وفي كل ما تمتد إليه يدك ويباركك في الأرض التي يعطيك الرب إلهك يقيمك الرب لنفسه شعبًا مقدسًا كما حلف لك إذا حفظت وصايا الرب إلهك وسلكت في طرقه»(٤).

هذه بعض النصوص التي يستدل بها اليهود على تفضيل الله لهم ومباركة الله إياهم على سائر الشعوب.

وكلها تدور حول محاور ثلاثة:

أولًا: تكثير نسلهم إلى حد كبير، والمبالغة التي شبهت بها الكثرة كتراب الأرض.

ثانيا: التمكين لهم في الأرض ونصرهم على أعدائهم واحتلال الأراضي المجاورة لهم.

---

(١) سفر التكوين ٢٢: ١٧ - ١٨.

(٢) اللاويين ٢٠/ ٨.

(٣) اللاويين ٢٠/ ٢٦.

(٤) سفر التثنية ٢٨: ١ - ١٠.

ثالثًا: نزول البركات عليهم وهذا من أجل أنهم شعب الله ـ الذين ميزهم على سائر الشعوب.

ونحن نناقش اليهود من خلال النصوص الواردة في أسفارهم، ونحاول أن نتحقق من صدور هذه الوعود التي أعطيت لهم، كما يزعمون.

(أ) فيما يتعلق بتكثير النسل:

لم يحدث مطلقًا أن كثر نسل اليهود منذ وجدوا إلى العصر الحاضر.. ونقصد بنسلهم المقارنة بنسل غيرهم من الأمم ـ أين هم من المصريين ـ على عهد سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام؟ ثم كم يبلغ عددهم أمام عدد البابليين والفرس والرومان ـ تلك الأمم التي كانت تجاورهم؟

لقد دخلوا في حروب متواصلة وتعرضوا للقتل والتشريد أكثر من مرة الأمر الذى أكثر فيهم القتل وأثر سلبًا على عددهم، هذا في التاريخ القديم..

أما في التاريخ الحديث فإن عدد اليهود في العالم أجمع يناهز ستة عشر مليونًا من البشر، وهذا العدد لا يمثل شيئًا أمام عدد المسلمين، والنصارى، بل عدد الأمم الوثنية كالبوذية على سبيل المثال.

(ب) أما مسالة التمكين لهم في الأرض:

فإن تاريخهم يشهد أنهم لم يمكنوا قط طوال تاريخهم الذى يمتد لأكثر من أربعة آلاف سنة من الملك إلا في عهد سيدنا داود وسليمان عليهما السلام وهي فترة تقدر بنحو سبعين عامًا، وهذه المدة لا تعد شيئًا مذكورًا في تاريخ الشعوب والدول، فكيف تؤخذ على أنها تدل على التمكين ثم بعد ذلك قسمت مملكتهم إلى مملكة يهوذا، ومملكة إسرائيل واشتعلت بين الدولتين الحروب والمنازعات مما أغرى بهما الدول المجاورة:

١ـ ففي عهد «رحبعام»(يربعام» غزا «شسنق» فرعون مصر فلسطين ونهب مدينة القدس وسيطر على مملكة يهوذا وإسرائيل.

٢ـ وفي سنة ٧٤٠ ق. م غزا ملك آشور مملكة إسرائيل ودفع ملكها اليهودي ألف وزنه من الفضة مقابل التمكين له في حكم المملكة.

٣ـ وفي سنة ٦٠٦ ق. م غزا «نبوخذ نصر» ملك بابل مملكة «يهوذا» وتغلب عليها ودفعت له الجزية، وانتهى الأمر بعد ثلاث غزوات أن هدم أسوار المملكة وسلب أهلها إلى بابل.

٤ـ وبعد وفاة الإسكندر المقدوني اقتسم قواده الحكم فكانت مملكة يهوذا من نصيب البطالسة.

٥ـ وفي سنة ١٦٨ ق. م انتقلت يهوذا إلى حكم السلوقيين حينما احتلها «أنكوخيوس» وهدم أسوارها ونهب هيكلها وقتل من اليهود مائتي ألف في ثلاثة أيام.

٦ـ وفي سنة ٦٢ ق. م احتل الجيش الروماني بقيادة يومبي مدينة القدس واستباح الهيكل وفتك بالسكان[١].

هذا جزء من كل من تاريخهم الذى رزحوا فيه تحت الاحتلال، فأين الوعد لهم بالتمكين في الأرض ونصرهم على أعدائهم.

(ج) وأما مسألة إحلال البركة عليهم:

فهي مشروطة بحفظ الوصايا والالتزام بالأوامر والنواهي، واليهود ما حدث لهم الذى حدث إلا لانحرافهم عن شريعة موسى عليه الصلاة والسلام، وانخراطهم في الأمم الوثنية يأخذون أحط ما عندهم من العقائد والعادات.

ولننقل بعض النصوص من أسفارهم: **«وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم وتركوا الرب إله آبائهم الذى أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة**

---

(١) انظر الأفعى اليهودية في ديار الإسلام ص (٢٣ ـ ٢٥)، وانظر أبعاد المشكلة الفلسطينية من عهد إبراهيم إلى يوم القيامة ـ المستشار عزت الطهطاوي ـ ص ٣١٤ ـ ٣٣٥.

أخرى من آلهة الشعوب وعبدوا البعل وعشتاروت فحمي غضب الرب على إسرائيل فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم وباعهم بيد أعدائهم حولهم ولم يقدروا بعد على الوقوف أمام أعدائهم»[١].

هل ما حدث لهم من تسليط الأعداء عليهم لنهبهم وذلهم - إلا لانحرافهم عن وصايا الرب وعدم قيامهم بحفظها . أين البركة إذن؟

ونص آخر في سفر القضاة: «فعمل بنو إسرائيل الشر في عين الرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والسواري فحمي غضب الرب على إسرائيل فباعهم بيد كوشان رشتعايم ملك آرام النهرين فعبد بنو إسرائيل كوشان رشتعايم ثماني سنين»[٢].

لقد اكتفيت ببعض النصوص التي تظهر مدى انحراف اليهود وعدم حفظهم للعهد مع الله. فبأي وجه حق يستحقون البركة وبأي عمل يميزون على غيرهم وقد أخذوا أرذل وأسفل ما عند الأمم المجاورة لهم أو الذين استعمروهم.

من خلال نصوصهم أثبتنا عدم استحقاقهم لفضل الله وبركته وتمييزه لهم.

دلالة الآيات القرآنية التي تتحدث عن تفضيل الله لبني إسرائيل على العالمين:

وردت في القرآن الكريم آيات متعددة في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم تتحدث عن تفضيل الله لبني إسرائيل على العالمين، وهذه الآيات هي:

[١] في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة :٤٧] .

[٢] في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ

---

(١) انظر سفر القضاة ٢: ١١ ـ ١٥.

(٢) القضاة ٣: ٧ ـ ٩، وانظر القضاة ٣: ١٣ ـ ١٠٥، وانظر القضاة ٤: ١ ـ ٤. والقضاة ٦: ١ ـ ٧، والقضاة ١٣: ١ـ ٢.

ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة :٢٠] .

[٣] في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف :١٤٠] .

[٤] في سورة الدخان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان :٣٢] .

[٥] في سورة الجاثية في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية :١٦] .

هذه هي معظم الآيات التي تحدثت عن بني إسرائيل وتفضيل الله لهم عن غيرهم وقد تحدث القرآن الكريم في آيات أخرى عن زعمهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه وأن الجنة محرمة على غيرهم وأن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات.

يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة :٨٠] .

ويقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة :١٨] .

ويقول تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة :١١١] .

وسوف نقسم ردنا إلى قسمين:

الأول: توجيه دلالة آيات التفضيل الواردة في شأن بني إسرائيل.

الثاني: الرد على مزاعمهم فيما يتعلق ببنوتهم لله، ودخولهم الجنة وعدم دخولهم النار إلا أيامًا معدودة.

فيما يتعلق بالشق الأول: هناك شبه إجماع من المفسرين على أن التفضيل الذى خصهم الله به ـ كان خاصًا بزمانهم ـ والعالمين الموجودين في أيامهم.

يقول الرازي: «لا يلزم من كون بني إسرائيل أفضل العالمين في ذلك الوقت كونهم أفضل من محمد ﷺ، وهذا هو الجواب أيضًا عن قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة :٢٠] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان :٣٢] وأراد به عالمي ذلك الزمان، وإنما كانوا أفضل من غيرهم بما أعطوا من الملك والرسالة والكتب الإلهية»[1].

وبعد أن يعرض الرازي هذا الرأي، ينفذ ببصيرة إلى رأي آخر له وجاهته وهو أن قوله ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة :٤٧] عام في العالمين، ولكنه مطلق في الفضل، وتعني تلك العبارة أن بني إسرائيل فضلوا على العالمين في أمر واحد من الأمور، وهذا لا يعني أن يكونوا أفضل من كل العالمين في كل الأمور، فهم وإن كانوا أفضل من غيرهم في شيء فغيرهم أفضل منهم فيما عدا هذا الشيء.

وهذا تخريج وجيه من الرازي.. ومعلوم أن الذين فضلهم الله من بني إسرائيل هم المؤمنون.. لأن الفاسقين العصاة بعضهم مسخوا قردة وخنازير ولعنهم الله[2].

وقد تناول الشيخ «رشيد رضا» الآيات التي تحدثت عن تفضيل الله تعالى لبني إسرائيل وردها إلى أمور تبين أن التفضيل كان لأجل حثهم على الطاعات.. وأن التفضيل ليس قدرًا أو مقدورًا لا يتجاوزهم.. وإنما هو مرتبط بطاعتهم وتنفيذهم لأمر الله.. ويذكر العلل التي فضلهم الله من أجلها وهي:

(١) أن التفضيل هو مناط الأخذ بالفضائل وترك الرذائل لأن من يري نفسه مفضلاً مكرمًا يترفع عن الدنايا والخسائس التي تدنس شرفه وتذهب فضله.

---

(١) التفسير الكبير للرازي (١/ ٥٥، ٥٦).

(٢) نفسه (١/ ٥٦).

(٢) أن يتذكر بنو إسرائيل أن الذى فضلهم له أن يفضل غيرهم كمحمد ﷺ وأمته، لأنهم التزموا بما لم يلتزم به اليهود فانتقل الفضل منهم لأمة محمد ﷺ.

(٣) أن يتنبهوا إلى أنفسهم فيذكروها عند أمر الناس بالبر ويعلموا أنهم أولى الناس بفعل الخير حين يأمرون غيرهم بفعله.

(٤) أن تفضيل الله لهم لا يعني أن يكون كل فرد منهم أفضل من كل فرد من غيرهم ولا يمنع أن يفضلهم غيرهم من الشعوب - إذا أطاعوا الله وفعلوا الخيرات وتركوا المنكرات.

(٥) أن التفضيل كان شرط الوفاء بعهد الله وفعل الأوامر واجتناب النواهي.

ويجب أن نربط بين آيات التفضيل وآيات الأمر لهم بطاعة الله[١] من نحو قوله تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۢ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤٢ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٠-٤٣].

فالتفضيل مع كونه مرتبط بزمان استخلافهم واختيارهم فهو موقوت في الوقت ذاته بمدى التزامهم بالأوامر والنواهي التي خاطبهم الله بها.. فأما بعد ما عتوا عن أمر ربهم وعصوا أنبياؤهم وجحدوا نعمة الله عليهم وتخلوا عن التزاماتهم وعهدهم فقد أعلن الله حكمه عليهم باللعنة والغضب والذلة والمسكنة وقضى عليهم بالتشديد وحق عليهم الوعيد[٢].

(١) انظر تفسير المنار (١/ ٢٥١ - ٢٥٣).
(٢) ظلال القرآن (١/ ٦٩).

أما زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه وأنهم سيدخلون الجنة ولن يمكثوا في النار إلا أيامًا معدودة..

فإن القرآن الكريم أقام عليهم الحجة الدامغة في كل فرية افتروها.

(أ) ففيما يتعلق بأنهم أبناء الله وأحباؤه جاء رد القرآن الكريم عليهم ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة:١٨] .

أي إن صح أنكم أبناء الله وأحباؤه فلم تذنبون وتعذبون فتمسخون قردة وخنازير وتمسكم النار أيامًا معدودات على زعمكم ولو كنتم أحباؤه لما عصيتموه ولما عاقبكم بل أنتم من جملة خلق الله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء فلا يميزكم عن بقية خلقه(١).

وعن ابن عباس: أتى رسول الله ﷺ نعما بن آصي وبحري بن عمرو وشاس بن عدى وهم من اليهود. فخوفهم رسول الله ﷺ من الله وحذرهم من نقمته فقالوا ما تخوفنا يا محمد؟ والله نحن أبناء الله وأحباؤه وقالت النصارى قبلهم ذلك فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية(٢).

(ب) وفيما يتعلق بكذبهم وادعائهم أنهم لن تمسهم النار إلا أيامًا معدودات فإن الله جل وعلا كذبهم ووبخهم وبكتهم.. يقول تعالى ردًا على اليهود في دعواهم ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٨٠] .

يفند الله حجتهم الداحضة.. فهذا القول من قبيح أفعالهم وأقوالهم وهو جزمهم بأن الله تعالى لا يعذبهم إلا أيامًا قليلة وهذا الجزم لا سبيل إليه من جهة العقل لأن الله يفعل ما يريد.

ولا من جهة النقل لأن الله لا يحابي قومًا لجنسهم ولا لنسبهم ولذلك

(١) الكشاف للزمخشري (١/ ٦٠٢).
(٢) روح المعاني للآلوسي (٦/ ١٠٠ - ١٠١).

كذبهم بقوله ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة :٨٠] ، وكذبهم بقوله ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة :٨١] فأبطل الله حجتهم على وجه أعم شامل لهم ولسائر الكافرين كأنه قال بل تمسكم وغيركم دهرًا طويلاً وزمانًا مديدًا لا كما تزعمون(١). فانقطعت حجة اليهود من جميع الوجوه.

أولًا: من جهة العقل والواقع المشاهد، ولا يحسبن البعض أن ما هم فيه الآن من التمكين دليل على أفضليتهم - فإن الدائرة ستدور عليهم - يوم أن يرجع المسلمون إلى دينهم(٢).

ثانيًا: من جهة النقل والكتب الإلهية. . بما فيها كتبهم على الرغم مما نزل بها من تحريف وتزييف.

الكوارث والهزائم التي حلت بهم:

تأتي هذه النقطة مترتبة على النقطة الأولى - إذ إنهم زعموا كما بينا أنهم شعب الله المختار ثم نزلت بهم الهزائم وتكررت عليهم المصائب واضطهدتهم الأمم المجاورة لهم وسلبوهم أموالهم وأخرجوهم من ديارهم وساقوهم إلى الأسر فيما يعرف بالسبي البابلي ودكت مدينة القدس وهدمت أسوارها أكثر من مرة من جانب أعدائهم(٣).

---

(١) انظر التفسير الكبير (٣/ ١٥٨ - ١٦٠)، وروح المعاني (٢/ ٣٠٤)، والكشاف (٤/ ٢٩٢ - ٢٩٣)، والمنار (٣/ ٣١٩ - ٣٢٠).

(٢) انظر للأهمية: كتاب الأستاذ/ محمد قطب: رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ص (١١١ - ١٢٠) ففيه تحليل قيم لوضع اليهود الآن وسبب سيطرتهم وانظر كتابنا الاختراق اليهودي للمجتمعات الإسلامية نشأته وتطوره ص (٢٤٧ - ٢٥٧) نشر مطبعة الشناوي - بطنطا.

(٣) انظر في الهزائم المتلاحقة التي حلت باليهود مفصل العرب واليهود ص (٦١٥ - ٦١٨)، وانظر خطر اليهودية العالمي على الإسلام والمسيحية ص (٢٣ - ٢٧).

كل هذه المصائب جعلت اليهود يبحثون عن حل مناسب يوائم بين كونهم شعب الله المختار، وبين ما ينزل بهم وما يحل عليهم من مصائب متكررة، لقد لجئوا إلى تصور فكرة المسيح المخلص المنقذ الذى يظهر ليعيد لهم أمجادهم ويرد لهم أرضهم وأموالهم ويقيم لهم دولتهم والأهم من ذلك كله ينتقم من أعدائهم.

وارتبط قدومه في الخيال اليهودي بمزيد من الاضطهاد.. فكلما بدت مصاعب اليهود شديدة القسوة وتفوق احتمالهم زاد أملهم في قدوم المسيح المخلص[(١)]، ولذلك وجدنا أن فكرة المسيح المخلص تظهر بإلحاح لدى الشعب اليهودي في فترات هزائمهم وسيطرة الأعداء عليهم.

* * *

(١) قصة الديانات ـ سليمان مظهر ص (٣٦٨).

المبحث الثامن

موجز تاريخ بني إسرائيل

إسرائيل هو يعقوب عليه السلام[١]، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم مرتين مرة في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران :٩٣] .

ومرة أخرى في سورة مريم في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم :٥٨] .

وإسرائيل «يعقوب» عليه الصلاة والسلام هو حفيد سيدنا إبراهيم فهو ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

وقد نشأ يعقوب وعاش في أرض الكنعانيين بالشام[٢]، أرض فلسطين الآن.. وقد رزق من الأبناء اثنى عشر ولدًا.. من هؤلاء الاثنى عشر: يوسف عليه الصلاة والسلام، وقد ذكره الله في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا

(١) انظر الكشاف للزمخشري (١/ ٤٤٥).

(٢) الكنعانيون: نسبة إلى كنعان بن حام بن نوح، وقد افترى اليهود وكتبة الأسفار على نوح عليه السلام حيث اتهموه بأنه شرب الخمر وسكر وتعرى فأخذ ولداه سام ويافث الرداء وسترا أباهما أما حام بن نوح فلم يستر والده فقام نوح بلعنه وطرده. هكذا افتروا على نبي كريم من أنبياء الله تعالى. وبالتالي حرموا كنعان من ميراث أبيه الديني والدنيوي بناء على طرد نوح له. وورث أبناؤه هذا الخطأ على زعمهم. انظر سفر التكوين ٩: ٢١ - ٢٧.

هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ﴾ [غافر :٣٤] .

وفي هذا دلالة على أن يوسف عليه الصلاة والسلام أرسله الله تعالى إلى المصريين ونادى بالتوحيد في مصر قبل موسى عليه الصلاة والسلام.

ويقول تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام :٨٤] وقد وردت قصة يوسف عليه الصلاة والسلام مفصلة في سورة باسمه في القرآن الكريم.

أما إخوته ونسلهم فهم أصل الأسباط[1] الإسرائيليين المذكورين في القرآن الكريم، والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب.. يقول تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًاۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ [الأعراف :١٦٨] وقد كان من أمر إخوة يوسف ما قصه القرآن الكريم في سورة يوسف من كيد إخوته له وإلقائه في الجب ثم خروجه وبيعه في مصر، ثم دخوله قصر العزيز ثم مراودة امرأة العزيز له عن نفسه واستعصام يوسف وبراءته من قبل الله تعالى ثم من قبل الشاهد، وبعد ذلك كيد امرأة العزيز له مرة أخرى هي والنسوة معها ثم استعصامه منهن مرة أخرى، ونجاة الله له منهن، ثم دخوله السجن على يد امرأة العزيز، ثم تفسيره لرؤيا الملك وتبرئة امرأة العزيز والنسوة ليوسف، ثم جعله على خزائن الأرض ومجيء إخوته لأخذ الزاد من مصر، ثم أخذه لأخيه، ثم رجوعهم مرة أخرى وإخبارهم بأن الذى يحدثهم إنما هو يوسف الذى وضعوه في غيابة الجب، وأخيرًا إرساله إلى أبيه وأمه ودخولهم مصر.. يقول سبحانه ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓۚ إِنَّ

(١) الكشاف للزمخشري (١/ ٣١٥).

رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [يوسف :٩٩-١٠٠] .

ونظرًا لمكانة يوسف عليه السلام عند ملك مصر التي كانت تحكم من قبل «الهكسوس»[١] الذين كانوا من «الساميين» الرعاة وقد أغاروا على مصر، وملكوها. وكان المصريون يكرهونهم نظرًا لكونهم من المحتلين من جهة، ومن جهة أخرى لأنهم ليسوا من جنسهم.

وقد أنزل «الهكسوس» إخوة يوسف منطقة جيدة التربة خصبة الإنتاج، وقد عملوا بالزراعة فيها.

ولكن ما لبثت الكراهية والبغض أن دبت بين بني إسرائيل وبين شعب مصر خاصة بعد وفاة يوسف عليه الصلاة والسلام لعدة أمور منها[٢]:

(أ) أن بني إسرائيل كانوا يعملون كجواسيس على المصريين لدى «الهكسوس» ولعل ترحيب الهكسوس ببني إسرائيل كان من أجل معاونتهم لهم ضد الشعب المصري، فكلاهما غرباء.

(ب) أن بني إسرائيل كرهوا المصريين؛ نظرًا لأن بني إسرائيل كانوا على دين التوحيد دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب.. بينما كان المصريون يعبدون الأصنام والحيوانات وغيرها من المعبودات الوثنية.

(ج) من أسباب كراهية المصريين لبني إسرائيل أن الإسرائيليين اعتزلوا الشعب المصري واجتنبوه، وتلك صفة لازمة لبني إسرائيل ومع هذه العزلة اشتغلوا بالتجارة واستصلاح الأراضي وجمع المال بشراهة الأمر الذى ترتب عليه أن المال أصبح بأيديهم، ومن ثم بدءوا بتسخير المصريين في العمل عندهم كأجراء في كافة الأنشطة الزراعية والتجارية والصناعية إذ إن بني إسرائيل اشتغلوا في مصر بتجارة الذهب والفضة وصناعتهما وصاروا من أغنياء

---

(١) انظر اليهودية وتأثرها بالأديان القديمة ص (٢٣٠).

(٢) راجع للأهمية اليهودية وتأثرها بالأديان القديمة ص (٢٣٢) للأستاذ الدكتور فتحي الزغبي وهي رسالته للدكتوراه ـ نشر دار البشير الطبعة الأولي ١٩٩٤م.

مصر وأثروا ثراءً كبيرًا.

المصريون وانتصارهم على الهكسوس:

كما هي سنة الله في خلقه «**وتلك الأيام نداولها بين الناس**» اجتمع المصريون حول قيادتهم وتمكنوا من طرد الهكسوس من أرضهم، وصار الحكام على مصر وملوكها من المصريين أنفسهم ونظرًا لأن بني إسرائيل كانوا مع المحتلين ضد المصريين، فإن «الفرعون»[(١)] الذي ملك مصر أخذ ينتقم من الإسرائيليين ويسومهم سوء العذاب وسحب منهم الامتيازات التي كانت لهم. وصار بنو إسرائيل يعملون بالسخرة عند المصريين. وخوفًا من قيام بني إسرائيل بالثورة ضد المصريين فإن أحد الفراعنة أوعز إلى القابلات إذا ولدت العبرانيات أن يقتلن الذكور من المواليد.

ورد في سفر الخروج «**وكلم ملك مصر قابلتي العبرانيات اللتين اسم إحداهما شفرة واسم الأخرى فوعة. وقال حينما تولدان العبرانيات وتنظرانهن على الكراسي إن كان ابنًا فاقتلاه وإن كان بنتًا فتحيا، ولكن القابلتين خافتا الله ولم تفعلا كما كلمهما ملك مصر بل استحيتا الأولاد. فقالت القابلتان لفرعون إن النساء العبرانيات لسن كالمصريات فإنهن قويات يلدن قبل أن تأتيهن القابلة فأحسن الله إلى القابلتين ونما الشعب وكثر جدًا**»[(٢)].

ولكن يبدو أن هذه الحيلة لم تؤت ثمارها فإذا بالفرعون يأمر بذبح الأولاد واستحياء النساء، وفي هذا يمتن الله عز وجل على بني إسرائيل بأن نجاهم من فرعون وملئه.. يقول تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ **[البقرة :٤٩]** .

---

(١) انظر سفر الخروج الإصحاح الأول ٦ ـ ١١.
(٢) نفس السفر الإصحاح الأول ١٥ ـ ٢١.

مولد موسى عليه الصلاة والسلام وبعثته وخروج بني إسرائيل معه:

إذا أراد الله أمرًا فإنما يقول له كن فيكون. في أثناء هذا الاضطهاد والعذاب الذى نزل ببني إسرائيل من فرعون وملئه، أراد الله أن يولد موسى عليه الصلاة والسلام ليكون إنقاذ بني إسرائيل على يديه، وقصة ولادته ونجاته من فرعون وإلقائه في اليم وتربيته في قصر فرعون من آيات الله ومن عجائب قدرته وتصريفه للأمور(١).

وبعد أن شب موسى عليه الصلاة والسلام وترعرع، وكان العداء مستحكمًا بين المصريين وبين بني إسرائيل، إذا بموسى عليه الصلاة والسلام يستغيث به أحد الإسرائيليين من شيعته على أحد المصريين فوكزه موسى فقضى عليه، ثم ندم وتاب على ما فعل. وانتشر خبره في المدينة وصارت السلطات تلاحقه، فنصحه ناصح بأن يخرج من مصر نظرًا لأن الملأ يأتمرون لقتله. فخرج معتمدًا على الله إلى أرض مدين، وهناك سقى لامرأتين بعد أن رأى ضعفهما وحياءهما وانتهى به الأمر أن تزوج إحداهما(٢).

ومكث موسى في أرض مدين عشر سنوات ثم أخذ أهله وهم بالرجوع إلى مصر وفي أثناء سيره ضل الطريق، وفي الليل رأى نارًا فقال لأهله إني آنست نارًا لعلي أتيكم منها بقبس أو أجد أحدًا يستدفئ بتلك النار أسأله أن يدلني على الطريق. فلما جاءها أوحى الله إليه بالرسالة وأراه معجزة العصا، وطلب منه سبحانه أن يذهب إلى فرعون يدعوه إلى التوحيد، وبالفعل بلغ موسى رسالة ربه إلى فرعون وأظهر له موسى المعجزات التي تبين صدقه ولكن فرعون أبى واستكبر واشتط في العناد حتى ادعى الألوهية والربوبية، وسخر من

---

(١) وردت قصة موسى وولادته ورعاية الله له في سورة طه وسورة الشعراء وسورة القصص. فلتراجع هذه القصة ففيها من العظات والعبر ما نحن في أمس الحاجة إليها الآن.

(٢) تراجع القصة في سورة القصص.

موسى ومن معه وتوعدهم بالعذاب الأليم خاصة بعد أن آمن السحرة بالله رب العالمين وصدقوا موسى في رسالته..

ولما وصل الأمر بين موسى وفرعون إلى طريق مسدود طلب موسى وهارون من فرعون أن يرسل معهما بني إسرائيل ولكن فرعون يأبى ويستمر في إضطهاده لهم وتستخبرهم . فأوحى الله على موسى أن يخرج ليلاً ومن معه من بنى إسرائيل. وبالفعل خرج موسى ومن معه، ولكن فرعون يتبعهم، ولم يكن أمام موسى وقومه إلا البحر، فيوحي الله إلى موسى أن يضرب البحر بعصاه فينفلق البحر، ويعبر موسى ومن معه، ولإنفاذ قدر الله يتبعهم فرعون وقومه فإذا بالله يغرق فرعون ومن معه ويسجل القرآن الكريم هذا المشهد بقوله ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس:٩٠-٩٢] .

ويقدر البعض المدة التي قضاها الإسرائيليون في مصر منذ دخولهم في عهد يوسف عليه الصلاة والسلام إلى أن خرجوا منها مع موسى وهارون عليهما السلام حوالي ثلاثمائة سنة أو تزيد قليلاً [١].

بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر

بعد أن نجي الله موسى ومن معه من فرعون وملئه، ونجاهم كذلك من الغرق بدأت النفوس التي استمرأت الذل والعبودية والتي تأثرت بما عليه

---

(١) انظر مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (١٠٣) لفضيلة الأستاذ الدكتور/ عوض الله جاد حجازي، قارن هذه المدة بما ذكره سفر التكوين ١٥ ـ ١٣.

المصريون من وثنية بدأت هذه النفوس تخرج أسوأ ما فيها.. فبعد أن نجاهم الله من الغرق، بدءوا يقولون لموسى وقد مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، يقولون له اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة.

يقول الله مصورًا مقالتهم وسفاهة عقولهم ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف :١٣٨-١٤٠] .

طلبهم الطعام الأرضي

إن بني إسرائيل منذ خروجهم من مصر «وهم في سلسلة متعددة من التذمرات وأشكال متنوعة من الاحتجاجات وقد تمادوا في تمردهم وعصيانهم على موسى وهارون. ومن صور تمردهم: ما حكاه القرآن عنهم في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة :٦١] .

قالوا هذا بعد أن من الله عليهم برزق من عنده لا يبذلون في تحصيله جهدًا وهو المن والسلوى.. يقول سبحانه ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف :١٦٠] .

يقول الرازي: «لما ذكر تعالى أنه كان يسقيهم، ذكر ثانيًا أنه ظلل الغمام عليهم وثالثًا أنه أنزل عليهم المن والسلوى، ولا شك أن مجموع هذه الأحوال نعمة عظيمة من الله تعالى لأنه سبحانه سهل عليهم الطعام والشراب على أحسن الوجوه ودفع عنهم الشمس»(١).

ولنقرأ ما ورد في سفر العدد عن تمردهم على الطعام واعتراضهم على المن والسلوى «فعاد بنو إسرائيل أيضًا وبكوا وقالوا من يطعمنا لحمًا قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله في مصر مجانًا، والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم والآن قد يبست أنفسنا ليس شيء غير أن أعيننا إلى هذا المن»(٢).

الأمر لهم بدخول الأرض المقدسة وامتناعهم

أراد الله جل وعلا أن يدخل بنو إسرائيل الأرض المقدسة التي كتب الله لهم وهي أرض الميعاد أراد الله منهم أن يدخلوا تلك الأرض المباركة. واختار موسى عليه الصلاة والسلام من قومه اثني عشر رجلاً على عدد الأسباط وطلب منهم أن يستطلعوا هذه الأرض ويستكشفوا أهلها، فإذا بهم يقولون إن فيها قومًا جبارين واشترطوا لدخولها أن يخرج أهلها منها ولكن اثنين من الذين أنعم الله عليهما وهما «يوشع بن نون»، وكالب بن يوفنا «قالا لقومهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون، ولكن بني إسرائيل مرة أخرى يصممون على عدم دخولها ويطلبون من موسى أن يتركهم ويذهب هو وربه للقتال، أما هم فقاعدون ينتظرون النتيجة، فدعا عليهم موسى فاستجاب الله له وحمها عليهم.

يقول سبحانه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْۛ أَرْبَعِينَ سَنَةًۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة :٢٥-٢٦] .

---

(١) الرازي (٨/ ٣٦).

(٢) سفر العدد ١١: ٦ - ٧.

يقول المفسرون: إن الله عاقب الذين امتنعوا عن دخول الأرض المقدسة بأمرين:

الأول: أنه حرم عليهم دخول هذه الأرض أبدًا، والذين دخلوها بعد ذلك هم أولادهم أما هم فإن الله حرمها عليهم.

الثاني: أن الله عاقبهم بالتيه في الأرض لمدة أربعين عامًا.

يقول الألوسي: «**وكانت مسافة الأرض التي تاهوا فيها ثلاثين فرسخًا في عرض تسعة فراسخ كما قال مقاتل. وقيل: اثني عشر فرسخًا في عرض ستة فراسخ، وقيل: ستة في عرض تسعة، وقيل: كان طولها ثلاثين ميلًا في عرض ستة فراسخ وهي ما بين مصر والشام. وذكر أنهم كانوا ستمائة ألف مقاتل وكانوا يسيرون فيصبحون حيث يمسون، ويمسون حيث يصبحون كما قاله الحسن**»[1].

ولنا أن نتصور مدى الضنك الذى عوقبوا به حين يتحرك هذا العدد في تلك المسافة على غير هدى ولا رشاد جزاء وفاقًا على جبنهم ومعصيتهم لله ورسله.

وفي أثناء هذه المدة مات موسى عليه الصلاة والسلام ومات هارون من بعده..

وقد تولى «يوشع بن نون» قيادة بني إسرائيل وقد فتح الله على يديه الأرض المقدسة ولم يكن معه أحد من الذين طلب إليهم أن يدخلوها على عهد موسى وهارون لأنهم قد ماتوا جميعًا.

وقد أورد البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع المرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن بها، ولا أحد بنى بيوتًا ولم يرفع سقوفها ولا آخر اشترى غنمًا أو خلفات، وهو**

(١) روح المعاني للألوسي (٤/ ١٦١).

ينتظر ولادها. فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبًا من ذلك فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليهم فجمع الغنائم فجاءت يعني النار لتأكلها فلم تطعمها فقال: إن فيكم غلولًا فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده فقال: فيكم الغلول فليبايعني قبيلتك فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده فقال فيكم الغلول، فجاءوا برأس بقرة من الذهب فوضعوها فجاءت النار فأكلتها ثم أحل الله لنا الغنائم رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا»[١].

يقول ابن حجر: «وهذا النبي هو يوشع بن نون، وقد ورد أصله من طريق مرفوعة صحيحة أخرجها أحمد من طريق هشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس»[٢].

حال اليهود بعد دخولهم الأرض المقدسة

بعد أن من الله على (ريوشع بن نون» ودخل هو والذين آمنوا معه أرض فلسطين، قسم الأرض التي فتحها بين الأسباط الاثنى عشره، ثم مات بعد ذلك.

ونستطيع أن نضع أيدينا على ثلاث مراحل فاصلة لدى بني إسرائيل:

أولًا: عهد القضاة.

ثانيًا: عهد الملوك.

ثالثًا: عهد الانقسام وزوال ملك اليهود[٣].

وسوف نتحدث عن هذه العهود الثلاثة بإيجاز حتى يتبين لنا مدى نقض اليهود لعهودهم مع الله، ومدى عصيانهم لأنبيائهم.

---

(١) صحيح البخاري، فتح الباري (٦/ ٢٥٤) كتاب فرض الخمس.

(٢) فتح الباري (٦/ ٢٥٥).

(٣) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (١١٥).

عهد القضاة (١١٣٠ . ١٠٣٠ ق. م)[١]:

بعد موت «يوشع» انقطعت القيادة الجماعية لليهود وتفرق الأسباط، ودخلوا مع الكنعانيين والفلسطينيين وزالت دولتهم وإن بقيت لهم قرى صغيرة يرأسها قاض أصله كاهن، يذكر «ديورانت» أنه لم تتألف من الغزاة في يوم من الأيام أمة واحدة متماسكة بل ظلوا زمنًا طويلاً يؤلفون اثني عشر سبطًا مستقلين استقلالاً واسعًا أو ضيقًا، نظامهم وحكمهم لا يقومان على أساس الدولة بل على أساس الحكم الأبوي في الأسرة فكان شيوخ العشائر يجتمعون في مجلس من الكبراء هو الحكم الفصل في شئون القبيلة، وهو الذي يتعاون مع زعماء القبائل الأخرى إذ ألجأتهم إلى هذا التعاون الظروف القاهرة التي لا مفر من التعاون فيها»[٢].

ويذهب كثير من الباحثين إلى أن عهد القضاة يعتبر بحق هو عصر التفكك الكامل والفوضى الشاملة على مدار تاريخهم القديم[٣].

ورد في سفر القضاة عن تلك الأيام أنه «**لم يكن لبني إسرائيل ملك وكان كل إنسان يعمل ما حسن في عينيه**»[٤].

ومما ساعد على الانحلال والتفكك أن القضاة الذين يحكمونهم بمجرد موتهم، يرجع اليهود إلى الفساد والإفساد أكثر من آبائهم بل وكانوا يشركون مع الله غيره.. ورد في سفر القضاة: «**وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها لم يكفوا عن أفعالهم وطريقتهم القاسية**»[٥].

---

(١) نفسه ص (١١٥).
(٢) قصة الحضارة: وول ديورانت (٢/ ٣٢٩).
(٣) اليهودية وتأثرها بالأديان القديمة ص (٢٤١)
(٤) سفر القضاة ٢١ ـ ٢٥.
(٥) نفسه ٢ ـ ٢٠.

ومن أجل قساوة قلوبهم وعدم حفظهم العهد لذلك «حمى غضب الرب على إسرائيل وقال من أجل أن هذا الشعب قد تعدوا عهدي الذى أوصيت به آباءهم ولم يسمعوا لصوتي فأنا أيضًا لا أعود أطرد إنسانًا من أمامهم من الأمم الذين تركهم يشوع عند موته»[١].

والشيء الذى نخرج منه بعد عرضنا لتلك النصوص أن أسفارهم تذكر استمرار سكان فلسطين في تسلطهم على اليهود.. وسواء كان هذا بأمر الرب كما تذكر النصوص أم أنه نتيجة ضعفهم واستسلامهم لهذه الشعوب فإن ما يهمنا هو خضوع الإسرائيليين لشعوب فلسطين ووقوعهم تحت قبضتهم في سلسلة متواصلة من الاضطهاد والاستذلال في عصر القضاة[٢] الذى تراوح بين (١٠٠ ـ ١٤٠ سنة)[٣].

عهد الملوك ويمتد من (١٠٣٠ ـ ٩٠٥ ق. م)[٤]:

مر بنا كيف كان عهد القضاة من ناحية التفكك والانحلال والفوضى وتمكن الأعداء منهم. كل هذه الأمور جعلتهم يفكرون في لم الشمل والخضوع تحت ملك واحد يخضعون لأمره ويقودهم لمحاربة أعدائهم الذين سلبوهم أموالهم وأخرجوهم من ديارهم، ومن ثم ذهبوا إلى نبي لهم يقال إنه «شموائيل» وطلبوا منه أن يقيم عليهم ملكًا بدلاً من القاضي وينصبه ويملكه عليهم فينطووا تحت لوائه، ويسيروا تحت إمرته لمحاربة أعدائهم المحيطين بهم»[٥].

وقد قص علينا القرآن الكريم هذا في سورة البقرة وفيما ذكره الله جل وعلا

---

(١) القضاة ٢ ـ ٢٢.

(٢) اليهودية وتأثرها بالأديان القديمة ص (٢٤٢).

(٣) انظر اليهود واليهودية ص (٤٢)، وانظر مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (١١٥).

(٤) وانظر مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (١١٧)، واليهود واليهودية ص (٤٢).

(٥) انظر مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (١١٧)، وانظر صموئيل الأول ١- ٥، ١٩، ٢٠، وانظر اليهود واليهودية ص (٤٣).

بيان للجبن والخور، وعصيان الأوامر، والاعتراض على اختيار الله.. يقول سبحانه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة :٢٤٦] .

وبعد أن دخلوا في جملة اعتراضات على تعيين «طالوت» ملكًا عليهم وجعل علامة لهم على كونه من اختيار الله بعد ذلك إذا هم يعصون أمره حين طلب منهم أن يأتمروا بأمره على نحو ما ذكره القرآن الكريم.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ [البقرة :٢٤٩-٢٥٢][(١)].

والآيات تخبر أن الله مكن لداود عليه الصلاة والسلام من جالوت، ومن الله على داود بالنبوة والملك.. وقد غزا داود عليه الصلاة والسلام مدينة

(١) يراجع تفسير هذه الآيات في تفسير القرطبي من القدامى وظلال القرآن من المحدثين للأهمية.

القدس سنة ١٠٠٠ ق. م وبقيت المدينة بين سكانها الأصليين، ولم يعمل داود عليه الصلاة والسلام على ترحيل سكانها الأصليين أو تجريدهم من أملاكهم فقد سمح للفلسطينيين بالبقاء في مدينتهم»[١].

وهذا يتناسب مع التعاليم التي جاء بها الأنبياء ومن بينهم «داود» وللقارئ أن يقارن بين ما فعله داود عليه الصلاة والسلام وبين ما يفعله إخوان القردة والخنازير من اليهود الآن بإخواننا الفلسطينيين بل وبكل العرب والمسلمين ليوقن أن هؤلاء اليهود لا يمتون بصلة لا دينًا ولا نسبًا ولا خلقًا لهؤلاء الأنبياء الكرام.

وبعد داود، جاء ابنه سليمان عليه الصلاة والسلام، الذى سأل الله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده وقد أعطاه الله إياه ومن هذا الملك: تسخير الرياح والشياطين، كما أخبر بذلك القرآن الكريم[٢].

وفي أثناء حكم «سليمان» عليه الصلاة والسلام ساد البلاد السلام ونعم الإسرائيليون لأول مرة بالأمن والأمان، وقد استمرت المملكة التي أنشأها وحكمها داود وسليمان مدة ثلاثة وسبعين عامًا، ولقد كان هذان النبيان الكريمان من أعظم وأكرم أنبياء بني إسرائيل وملوكهم في نفس الوقت ومع ذلك فقد أبى طبع اليهود السيئ ونفوسهم الخبيثة إلا أن يرموا هذين النبيين ويصفوهما بأشنع الأوصاف وأقبح الجرائم[٣].

عهد الانقسام والتفكك والزوال:

بعد العصر الذهبي الذي عاشه اليهود في كنف ملك سيدنا داود وسليمان لم يبق الحال على ما هو عليه، إذ بعد وفاة سليمان عليه الصلاة والسلام دب

(١) هنري كاش: القدس ص (٤٤) نقلاً عن اليهود واليهودية ص (٤٣).
(٢) تراجع قصة سليمان عليه السلام في سورة الأنبياء وسورة النمل وسورة سبأ وسورة ص.
(٣) انظر اليهود واليهودية ص (٤٤) ومقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (١١٨)، وانظر النبوة والأنبياء عند اليهود في هذا البحث.

النزاع بين أولاده على السلطة الأمر الذي ترتب عليه انقسام الدولة، وتفكك المملكة، الأمر الذى جعل الأمم من حولهم يشكلون خطرًا كبيرًا عليهم ولعل أصدق تعبير عن حالهم ما ذكره «ويلز» بقوله «**لقد ظلت حياة العبرانيين طوال ثلاثة قرون شبيهة بحياة رجل أصر على العيش وسط سوق صاخب فكان مصيره أن تدهمه سيارات الجمهور والبضائع**»(١).

وهذا التعبير وإن كان حديثًا إلا أنه يصف حالتهم التي صاروا إليها أحسن وصف، وترتب على هذا التفكك أن انشقت أسباط العبرانيين الشمالية عن الأسباط الجنوبية وتألفت مملكتان لليهود:

الأولى: مملكة «إسرائيل» وعاصمتها «السامرة» في نابلس في الشمال.

الثانية: مملكة «يهوذا» وعاصمتها «أورشليم»(٢)، وهذه كانت في الجنوب وأول ملوكها كان «رحبعام» وقد تعاقب عليها من بعده عشرون ملكًا.

وكانت العلاقة بين هاتين الدولتين علاقة حروب ومنازعات، وكانت كل منهما تستعين بدولة أو بدول أخرى لتقضى على جارتها، ونتيجة لهذا فقد انتشرت المفاسد في الدولتين انتشارًا كبيرًا وعمتهما الفتن الداخلية(٣).

أما علاقة هاتين الدولتين مع جيرانهما من الدول فنلخصه في الآتي:

١ـ في عهد رحبعام، ويربعام غزا «شيسنق» فرعون مصر فلسطين وصعد على أورشليم ونهبها.

٢ـ في سنة ٧٤٠ ق. م غزا ملك آشور دولة إسرائيل الأمر الذى جعل ملكها يعطي لملك آشور ألف وزنة من الفضة ليترك الملك في يده.

٣ـ في سنة ٧٢٧ ق. م تولى «شلمناصر الثالث» فتمردت عليه إسرائيل

---

(١) انظر: معالم تاريخ الإنسانية (٢/ ٢٩٦).

(٢) انظر هيكل سليمان الوطن القومي لليهود ص (٩٤) يوسف الحاج بدون ناشر.

(٣) بنو إسرائيل في الكتاب والسنة ص (٤٢ ـ ٤٣) لفضيلة الإمام الأكبر/ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر.

فزحف عليها ولكنه صولح بكثير من الهدايا، فرجع عنها، إلا أنه عاد إليهم مرة أخرى وضرب الحصار حول السامرة.

٤- في سنة ٧٢١ ق. م قام «سرجون الثاني» بغزو دولة إسرائيل وحاصرها وانتهى الأمر بزوال دولة إسرائيل وسبى «سرجون» الأسباط وأجلاهم إلى ما وراء الفرات، ولم تقم لدولة إسرائيل بعدها قائمة.

٥- وفي سنة ٦٠٦ ق. م قام «بختنصر البابلي» بالإغارة على أورشليم فنهبها وأجلى كثيرًا من أهلها وأقام ملكًا من اليهود «صدقيا بن يواقيم» ولكن صدقيا نقض العهد فثار على بختنصر فإذا به يعود إلى أورشليم، ويسبي أهلها إلى بابل فيما عرف بالسبي البابلي[(١)].

وهكذا قضى على مملكة يهوذا في الجنوب ومملكة إسرائيل في الشمال، ومنذ ذلك التاريخ لم تقم لليهود دولة في فلسطين حتى بعد عودتهم على يد «قورش» الفارسي فإنه عندما عادوا إلى فلسطين عادوا إليها كجماعة ولم يعودوا كدولة..

يذكر الدكتور أحمد شلبي أنه «**لم تقبل العودة إلى فلسطين إلا قلة بدأت حياتها بعد سنتين من مجيء «قورش»** وفي بيت المقدس أعاد هؤلاء بناء الهيكل بتصريح من «قورش» وكانت عودة اليهود من المنفى عودة الأمة وليست عودة الدولة فإن بني إسرائيل عادوا ولكن دولتهم لم تعد فقد صاروا جماعة تابعة للحكم الفارسي وخاضعة له»[(٢)].

واستمروا على حالة الضعف والهوان هذه فترة إلى أن توهموا القوة فثاروا على الدولة الرومانية التي أذاقتهم كل أصناف العذاب والقتل.

يقول «ديورانت»(ولما استولى «تيتس» على نصف المدينة أورشليم عرض على

---

(١) راجع بنو إسرائيل في الكتاب والسنة ص (٤٤ - ٤٦) بتصرف، الناشر الزهراء للإعلام العربي.
(٢) اليهودية ص (٩٣) للدكتور أحمد شلبي.

الثوار شروطًا ظنها لينة فلما رفضوها أضرمت فرق الحراقين الرومان النار في الهيكل فلم يلبث هذا الصرح العظيم، - وكان معظمه مشيدًا من الخشب- أن احترق بأكمله، ويقدر «يوسنوس» عدد من هلك من اليهود في هذا الحصار وما أعقبه من حوادث بمليون ومائة وسبعة وتسعين ألفًا سنة ٧٠م، وإن تدمير الهيكل في واقع الأمر نهاية الفتنة ونهاية الدولة اليهودية، وصودرت أملاك الذين اشتركوا فيها وبيعت. ولسنا نعرف شعبًا آخر قد طال نفيه كما طال نفي اليهود أو عانى من الأهوال مثلما عانوا. لقد حرم عليهم أن يدخلوا المدينة المقدسة، وأرغموا على تسليمها للوثنية ثم للمسيحية، وشردوا في كل ولاية من ولايات الدولة الرومانية وإلى ما وراء حدود تلك الدولة»(١).

وكل الذى حدث لهم جزاءً وفاقًا على مكرهم وخروجهم على تعاليم الله وأنبيائه.. لقد انتهى تاريخهم كأمة ودولة وتفرقوا في جميع البلاد، وكانوا لا يذكرون إلا من خلال البلاد التي عاشوا فيها.

الفتح الإسلامي للقدس:

معلوم أن المسلمين فتحوا القدس في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولم يتسلمها عمر من اليهود وإنما تسلمها من بطريرك النصارى «صفرو نيوس» ودخل أهل فلسطين بخاصة والشام بعامة في الإسلام مختارين وطويت صفحة من صفحات الشرك والوثنية على أرض فلسطين المباركة واتجه الخلفاء إلى عمارتها وتحصينها والاهتمام بها لكونها أرضًا مباركة تضم المسجد الأقصى، وكانت هذه الأرض المباركة مقبرة الصليبيين، الذين جاءوا من أوربا قاصدين الاستيلاء على بيت المقدس، ولكن الله هيأ للمسلمين قيادة راشدة تمثلت في عماد الدين زنكي، ثم صلاح الدين الأيوبي الذى جمع الله المسلمين حوله وهزم الصليبيين شر هزيمة.

---

(١) قصة الحضارة: المجلد السادس ص (١٨٨، ١٩٦).

محاولات اليهود للعودة إلى فلسطين في العصر الحديث:

ولم يسمع أحد عن اليهود ولا مزاعمهم إلا في العصر الحديث حين عقد اليهود مؤتمرًا في مدينة «بال» بسويسرا سنة ١٨٩٧م بزعامة «هرتزل» الذى أعطيت له صلاحيات واسعة في تنفيذ قرار المؤتمرين باتخاذ فلسطين وطنًا قوميًا لليهود.

وقد بذل «هرتزل» محاولات كثيرة للقاء «السلطان عبد الحميد» عن طريق زعماء أوربا آنذاك، وقد توسط إمبراطور ألمانيا لدى السلطان لمقابلة هرتزل وتمت المقابلة ودار الحوار على هذا النحو:

هرتزل: مولانا صاحب الشوكة جلالة السلطان، لقد وكلنا عبيدكم اليهود بتقديم أسمى آيات التبجيل والرجاء.

عبيدكم المخلصون يقبلون التراب الذى تدوسونه، ويستعطفونكم للهجرة إلى فلسطين المقدسة، ولقاء أوامركم العالية الجليلة نرجو التفضل بقبول هديتهم خمسة ملايين ليرة ذهبية، وتسديد ديون تركيا.

وكان رد السلطان «**إن أرض وطننا لا تباع بالدراهم، إن بلادنا التي حصلنا على كل شبر منها ببذل دماء أجدادنا لا يمكن أن نفرط بشبر منها دون أن نبذل أكثر مما بذلوا من دماء في سبيلها**»[(١)].

ولم يكف زعيم الصهيونية عن إلحاحه على السلطان فقد تكررت مقابلة بعد ذلك فقد جاء ثلاث مرات مرة في يونية سنة ١٩٠١م وثانية في فبراير سنة ١٩٠٢م وثالثة في يوليو سنة ١٩٠٣م، وفي كل مرة كان يعرض على السلطان أكثر من المرة التي تسبقها إلى أن صارت عروضه كالآتي:

١- تسديد ديون تركيا.

---

(١) انظر: أسرار الانقلاب العثماني ص (٧) والأفعي اليهودية ص (٨٤).

٢ـ تطوير تركيا صناعيًا وتجاريًا وماليًا من خلال بنوك أوروبا التي يملكها اليهود.

٣ـ إنشاء خطوط السكك الحديدية للدولة، وبناء السفن عابرة القارات.

٤ـ القيام بحملة صحفية عالمية تدافع عن السلطان وسياسته في مواجهة الدول الأوربية.

٥ـ إنشاء جامعة عصرية تعلم الشباب التركي العلوم الحديثة بدلاً من ذهابهم إلى أوربا.

٦ـ الوقوف إلى جانب تركيا في خلافاتها مع المسيحيين في داخل دولة الخلافة وخارجها.

٧ـ أن يأخذ السلطان هدية مالية قدرها مائة مليون جنيهًا ذهبًا.

هذه جملة عروضه على السلطان.

أما المقابل أن يسمح الخليفة «لهرتزل» بإنشاء شركة يهودية تشتري الأراضي غير المزروعة في فلسطين وتتولى هذه الشركة زراعتها وتوطين اليهود فيها»[1].

ماذا كان رد السلطان عبد الحميد على مطالب هرتزل؟ لقد أمر بطرده وأسمعه ما لا يحب أن يسمعه يهودي، قال السلطان عبد الحميد: «**لا أملك هذا، فلسطين ليست ملكًا للأتراك، بل ملك للعرب، وبيت المقدس ليس ملكًا للعرب بل ملك للمسلمين**»[2].

ثم أردف قائلاً: «**إن الإمبراطورية التركية ليست ملكًا لي، فليس في استطاعتي والحال كذلك أن أهب أحدًا أي جزء فيها، فليحتفظ اليهود ببلايينهم في جيوبهم فإذا قسمت الإمبراطورية يومًا فقد يحصلون على فلسطين بلا مقابل ولكن التقسيم لن يتم**

---

(١) انظر الماسونية (٢٣٣ ـ ٢٣٤).

(٢) نفسه ص (٢٣٤).

إلا على أجسادنا»[١].

ثم يتساءل السلطان **«لماذا نترك القدس؟ إنها أرضنا في كل وقت وفي كل زمان، وستبقى كذلك من مدننا المقدسة»**[٢].

ثم يخلص بذكاء حاد، وبصيرة نافذة لما وراء مطلب هرتزل بإنشاء شركة يهودية لاستصلاح الأراضي ويبين المطامع الحقيقية لليهود في أرض فلسطين.. يقول: **«لا يريد الصهيونيون الاشتغال بالزراعة فقط في فلسطين، بل إنهم يريدون إنشاء حكومة لهم وانتخاب ممثلين سياسيين وإني أفهم جيدًا معنى تصوراتهم الطامعة هذه، وإنهم لسذج إذ تصوروا أني سأقبل محاولاتهم هذه. إن «هرتزل» يريد** أرضًا لإخوانه في الدين لكن الذكاء ليس كافيًا لحل كل شيء»[٣].

ويصف قبوله للعرض الذى قدمه «هرتزل» بقوله **«نكون قد وقعنا قرارًا بالموت على إخواننا في الدين»**[٤].

ولعل القارئ يستشعر مدى الحمية الإسلامية والحرص على البلاد والعباد من قبل السلطان، وإذا كان السلطان قد رفض توقيع هذا القرار في تركيا من مائة عام ويزيد، فإن البعض الآن ممن تولوا أمور المسلمين يوقعون هذا القرار وأسوأ منه، بل ويلحون على اليهود أن يقبلوا ما رفض إعطاؤه لهم خليفة المسلمين ودفع ثمن هذه التضحية حريته وسلطانه.. وفي حقيقة الأمر إن كل من يعطي اليهود الحق في شبر واحد من أرض فلسطين ويدعو إلى ذلك، أو يتفاوض على هذا الأساس، فهو يوقع قرارًا بالموت أو الطرد لإخوانه في العقيدة والوطن.

ويبدو أن محاولات «هرتزل» لم تتوقف. فقد طلب مقابلة السلطان عبد

---

(١) الماسونية ص (٢٣٤).

(٢) نفسه.

(٣) نفسه ص (٢٣٥).

(٤) نفسه.

الحميد بعد ذلك، ولكنه رفض أن يقابله وأرسل السلطان مع أحد أصدقاء «هرتزل» ويدعى «نيولنسكي» ما نصه قال السلطان لي: إذا كان «هرتزل» صديقك بقدر ما أنت صديقي فانصحه أن لا يسير أبدًا في هذا الأمر لا أقدر أن أبيع ولو قدمًا واحدًا من البلاد لأنها ليست لي بل لشعبي لقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية بإراقة دمائهم، وقد غذوها فيما بعد بدمائهم، وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا»[١].

ويبدو أن اليهود وعلى رأسهم «هرتزل» قد يئسوا من أخذ شيء من أرض فلسطين عن طريق السلطان «عبد الحميد» فقد قدم «هرتزل» تقريرًا لمؤتمر يهودي بعد مؤتمر «بال» قال فيه:

«أقرر على ضوء حديثي مع السلطان أنه لا يمكن الاستفادة من تركيا إلا إذا تغيرت حالتها السياسية بدخولها في حرب أو وقوعها في مشاكل دولية، وأعتقد أنه لابد من كسب عطف الحكومة الإنجليزية على المسألة الصهيونية»[٢].

وبالفعل حرك اليهود عملاءهم وأوقعوا دولة الخلافة في كثير من المشاكل الداخلية والخارجية والتي انتهت بسقوطها على يد أحد أبناء يهود الدونمة وهو «مصطفى كمال أتاتورك».

وبعد تقسيم العالم الإسلامي بين إنجلترا وفرنسا فيما عرف بمعاهدة «سايكس بيكو» التي بمقتضاها وقعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني وصدر وعد بلفور المشئوم ووقع ما كان يخشاه السلطان عبد الحميد حين قال «لهرتزل» إذا تم تقسيم الإمبراطورية فستحصلون على فلسطين بدون ثمن، وأصبح لليهود كيان فيها بعد أن عجز اليهود عن مجرد إنشاء شركة فيها وهي في ظل الخلافة الإسلامية[٣].

---

(١) مقدمة حكومة العالم الخفية: أحمد راتب عرموس ص (٢٠ - ٢١).
(٢) انظر أسرار الانقلاب العثماني ص (٢٦) بتصرف يسير.
(٣) سقوط الدولة العثمانية وأثرها على الدولة الإسلامية ص (٨٧).

المبحث التاسع

هل لليهود حق في فلسطين بعد بعثة محمد ﷺ؟

المراد بفلسطين:

يطلق اسم فلسطين على القسم الجنوبي الغربي من بلاد الشام واسم فلسطين معرب من «بالستين» [Palestine] وبالستين مشتق من اسم الشعب الذى كان يسكن السهول الجنوبية من فلسطين ويسمى «الفلستينيون» وقد أطلق على هذه الأرض رسميًا اسم «بالستين» لأول مرة الإمبراطور الروماني «فسباسيون» [Vespasion] وذلك حين وضع هذا الاسم على النقود التي صكها إثر قهره ثورة اليهود سنة ٧٠م(١).

وقد تحدد شكل فلسطين وحدودها الجغرافية المتعارف عليها في عصرنا الحاضر أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين، على أن العرب كانوا يعتبرونها جزءًا من بلاد الشام. وأثناء الاحتلال البريطاني رسمت الحدود بين فلسطين من جهة ولبنان وسوريا من جهة أخرى بموجب الاتفاق بين إنجلترا وفرنسا سنة ١٩٢٠م، وقد أدخل عليها بعض التعديلات عام ١٩٢٢ - ١٩٢٣م أما حدود فلسطين مع شرق الأردن فقد حددها المندوب السامي لفلسطين وشرق الأردن في الأول من سبتمبر سنة ١٩٢٢م.

أرض الشام أرض البركات:

وكانت فلسطين أرض الأنبياء ومبعثهم، وهي الأرض التي باركها الله

---

(١) انظر بتصرف تاريخ فلسطين القديم لظفر الإسلام خان ص (١٨).

للعالمين وبركتها ليس في وقت دون وقت ولكنها دائمة إلى يوم القيامة، وقد أخبر الله في القرآن الكريم عن بركتها منذ عهد إبراهيم عليه السلام.

يقول تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء :٧١][١]، في هذه الآية يخبر الله تعالى أن الله نجا إبراهيم وسلمه هو ولوط وأخرجه من بين أظهر الكافرين مهاجرًا إلى الشام، إلى الأرض المقدسة منها: عن أبي بن كعب قال: هي الشام، وما من ماء عذب إلا يخرج من تحت الصخرة. وقال قتادة: كان أي إبراهيم بأرض العراق فأنجاه الله إلى الشام، وكان يقال للشام أعقار دار الهجرة ، وما نقص من الأرض يزيد في الشام، وما نقص من الشام زيد في فلسطين، ويقال هي أرض المحشر، وبها ينزل عيسى ابن مريم، وبها يهلك المسيح الدجال[٢].

ويقول تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف :١٣٧] .

والمعنى أن الله أورث الذين آمنوا وصبروا من بني إسرائيل الأرض التي باركها الله وهي أرض الشام[٣] والتي من ضمنها فلسطين، ولا شك في أن هؤلاء المؤمنين الصادقين الذين آمنوا بموسى وصدقوا برسالته، ولم يظهر منهم

---

(١) ووردت بعض الآيات مثل قوله تعالى في سورة سبأ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً﴾ الآية: ١٨، وقوله تعالى:﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ﴾ الأنبياء: ٨١، كل هذه الآيات دلائل على أن تلك الأرض مباركة، ومعلوم أن البركة حسية ومعنوية والله لا يبارك أرضًا إلا إذا كان أهلها مسلمون طائعون مخلصون. وهذا ما لا يتحقق لليهود إذ إنهم كفار مشركون وإن كانوا ينتسبون لأهل الكتاب.

(٢) انظر مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٥١٥).

(٣) تفسير الكشاف للزمخشري (٢/ ١٠٩ - ١١٠).

معاداة لله وردًا لأمره، وليسوا هم من الذين قال الله عنهم: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة :٢٦] .

طلب موسى من بني إسرائيل دخول الأرض المقدسة:

طلب الله من بني إسرائيل أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لهم أي قدرها وقسمها كما يقول الألوسي[1]، ولكنهم عتوا عن أمر ربهم فانتقم الله منهم بعد أن دعا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام.. يقول تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة :٢٠-٢٦] .

يقول الشيخ عبد الوهاب النجار: «وهنا لطيفة أريد التنبيه عليها وهي أن يوقف عند قوله تعالى ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة :٢٦] ويبتدأ بقوله تعالى ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة :٢٦] لأنها حرمت عليهم تحريمًا أبديًا لا تحريمًا مقيدًا بأربعين سنة، وذلك أن الرجال الصالحين للحرب الذين عصوا موسى وقالوا ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ [المائدة: ٢٤] ماتوا في البرية أثناء

(١) تفسير الألوسي (٤/ ١٥٦).

السنين الأربعين، ولم يدخل أحد منهم إلى أرض الموعد فكانت محرمة عليهم بإطلاق»[١] وهذا ما أميل إليه. وقد دخل «يوشع بن نون» فتي موسى هذه الأرض المقدسة بعد ذلك، ولا يزعجنا هذا لأن «يوشع» والأنبياء الذين أقاموا مملكة في هذه الأرض المباركة وما جاورها كانوا مسلمين وكان الذين يعيشون في تلك الأرض من أتباع الأنبياء، ومن ثم فلا مشاحة مع هؤلاء الأنبياء وأتباعهم ، وإنما النزاع مع اليهود الذين انحرفوا عن تعاليم الله وغضب الله عليهم ومزقهم وتوعدهم، النزاع مع هؤلاء الذين لا يمتون إلى موسى وتعاليم الأنبياء بصلة، وإن زعموا أنهم أتباع موسى، وأبناء الأنبياء. النزاع مع الذين كفروا بمحمد ﷺ ويقتلون المسلمين بغير حق؟؟

ولذلك نريد أن نركز على أن كتابة الأرض المقدسة، كانت كتابة خاصة في زمن خاص لجيل خاص، فلما تخلى اليهود عن طاعة الله، وخالفوا شرط الاستخلاف ونقضوا العهد، وكفروا وبغوا، نزع الله هذه الأرض منهم وأوصل إرثها إلى الأمة الإسلامية المباركة، وحين وصل هذا الإرث إلى أمة الإسلام عمت البركة هذه الأرض وما حولها، ولذلك قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء :١] ، وشملت البركة كل ما حول هذه المنطقة[٢].

ربط المسلمين بالمسجد الأقصى:

ونود أن نشير إلى أن الله ربط المسلمين بالأرض المباركة حيث المسجد الأقصى:

أولًا : ربطهم إيمانيًا وعقديًا، حيث أسرى بمحمد ﷺ من البيت الحرام إلى المسجد الأقصى، وصار أمر الإسراء معلومًا من الدين بالضرورة، منكره كافر.

(١) قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ص (٢٧٣).

(٢) الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل ص (٢٣ - ٢٥) بتصرف، إبراهيم العلي، منشورات فلسطين المسلمة.

ونجد النص صريحًا، على المسجد الأقصى، لكي يعلم أمة الإسلام وغيرهم من الأمم التي تدعي أن لها إرثًا في الأرض المباركة وعلى وجه الخصوص المسجد الأقصى.. أن هذا الميراث انتقل إلى أمة الإسلام، خاصة بعد أن صلى محمد ﷺ بالأنبياء إمامًا وفيهم أنبياء بني إسرائيل.

ثانيًا: وربط الله المسلمين بالمسجد الأقصى من الناحية التشريعية.. وبيان ذلك أن الله وجه المسلمين في صلاتهم إلى المسجد الأقصى ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا[١] بعد الهجرة إلى المدينة، ثم حولهم إلى المسجد الحرام، وقد شن اليهود حملة شعواء على المسلمين، ذكرها الله في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:١٤٢].

ثم يرد على اليهود حين قالوا للمسلمين إن كانت صلاتكم إلى المسجد الحرام حق فصلاتكم إلى المسجد الأقصى باطلة، وإن كانت صلاتكم إلى المسجد الأقصى حق فإن صلاتكم إلى المسجد الحرام باطلة، فحزن أناس، قد صلى آباؤهم وإخوانهم إلى المسجد الأقصى، فأنزل الله سبحانه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣][٢].

وهذا الربط للمسلمين بالمسجد الأقصى في أهم ركن من أركان الإسلام وهي الصلاة دليل على أن المسجد الأقصى مسجد إسلامي وضعه الله في الأرض[٣]، ثم قام عليه أنبياء كرام وأتباعهم على الحق، إلى أن انتهى وضع

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/ ١٨٩).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (١/ ١٨٩).

(٣) ورد في الصحيحين وغيرهما عن أبي ذر الغفاري رضى الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض قال ﷺ: «**المسجد الحرام. قلت: ثم أي؟ قال ﷺ**: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال ﷺ: أربعون سنة، ثم الأرض لك مسجد فحيثما أدركتك الصلاة فصلِّ»، انظر دور الأزهر في الدفاع عن القدس ص (٩٣).

المسجد إلى محمد ﷺ وأمته من بعده. الأمر الذى يجعله إحدى المقدسات الإسلامية كالمسجد الحرام، والمسجد النبوي على ما بينهما من تفاوت في الفضل والأجر على الصلاة.

ثالثًا: ربط الله المسلمين بالمسجد الأقصى والأرض المباركة، عزة ونصرًا..

ووردت أحاديث كثيرة تبين فضل الأرض المباركة وتبين أن طائفة من أمة الإسلام تظل ظاهرة على الحق إلى يوم القيامة، في هذه المنطقة المباركة.. فعن أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه قال: رسول لله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك**» قالوا: فأين هم؟ قال «**ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس**»[1].

وورد عنه ﷺ من حديث مرة البهزي رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على من ناوأهم، وهم كالإناء بين الأكلة حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**» قلنا يا رسول الله وأين هم؟ قال: «**بأكناف بيت المقدس**»[2].

يقول النووي: «**إن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلين، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض**»[3].

---

(١) أخرجه الطبراني برقم (٧٦٤٣) وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند وجادة من خط أبيه والطبراني ورجاله ثقات، انظر الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر. دراسة حديثية تحليلية ص (١١٩، ١٤٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير وصححه الشيخ الألباني لشواهده في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٢٧٠، ١٩٥٧) نقلاً عن الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر ص (١٤٢).

(٣) شرح مسلم للنووي (٢/ ١٥٣).

فضلاً عن أن هذه الأرض المباركة هي التي ستجرى عليها المعركة الفاصلة بين اليهود والمسلمين، وعليها سينطق الحجر والشجر وينادي يا عبد الله يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله(١).

روى البخاري ومسلم بسنديهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم ثم يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله**».

وقد انفرد الإمام مسلم بأحاديث كثيرة تدور حول هذا المعنى منها:

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود**»(٢).

ومن عجيب الأمر أن شجر الغرقد هذا يزرع بكثرة في فلسطين ويقوم إخوان القردة والخنازير بزراعته بكثرة حول بيوتهم وزراعاتهم نظرًا لكثرة شوكه واحتماءً به..

يقول النووي: «**والغرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجال واليهود**»(٣).

ومن الأمور التي أراقبها، هي أن الله سبحانه وتعالى جعل أرض المقدس مطمعًا بالباطل لليهود فهم يعتقدون أنها أرض الميعاد وعليها سوف يخرج المسيح الذى ينتظرونه، لأن عقيدتهم أن المسيح لم يأت بعد؟؟؟ والغلاة منهم يجيئون أفواجًا من بقاع الأرض وعندهم عقيدة أنهم سيحاربون

---

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (٣/ ٣٠٩) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٢) صحيح مسلم (٢/ ٥٦٥)

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٨/ ٤٥) المطبعة المصرية ومكتبتها.

المسلمين وينتصرون عليهم، ويصرح غلاتهم بذلك[١].

والمسلمون يعتقدون بحق أنهم أصحاب الأرض المباركة وأن المسجد الأقصى مسجدهم، وهم يثقون في نصر الله بعد أن يقاتلوا اليهود وأن هذه البقعة المباركة فيها أهل الحق الذين يظهرونه ولا يضرهم من خالفهم، والشيء الذى يرصد الآن خاصة في ظل الصحوة الإسلامية المباركة، وفي ظل العتو اليهودي أن المسلمين أصحاب الحق يعتقدون أنهم ملاقو اليهود وأن النصر لهم وهذا حق، أما اليهود فهم يعتقدون بالباطل أنهم أصحاب الأرض، ونظرًا للقوة المتوهمة عندهم، ومناصرة أهل الباطل لهم، يظنون هم الآخرون بأن النصر سيكون حليفًا لهم..

وفي تقديرى ـ والله أعلم ـ أن الله يطمع هؤلاء في أولئك، وأولئك في هؤلاء حتى يحدث ما قدره الله من معركة فاصلة ينتصر فيها أهل الحق من المسلمين على أهل الباطل من اليهود ومن عاونهم، وما صلف اليهود واستكبارهم، وتصورهم أنهم لن يهزموا إلا صورة مكررة لما كان عليه المشركون قبل غزوة بدر الكبرى.

ألم يقل أبو جهل بعد أن اقترح عليه أن يرجع إلى مكة بعد أن بلغه أن عير أبي سفيان نجت «**والله لا نرجع حتى نرد بدرًا فنقيم بها ثلاثًا، ننحر الجزور ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدًا**»[٢] ونحن نعلم مصير أبي جهل في غزوة بدر وهذا ما ننتظره لليهود، وإن غدًا لناظره قريب.

إذًا هناك معركة فاصلة يساق إليها الطرفان بأمر الله، ولنقرأ هذه الآيات..

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ

---

(١) انظر: التصور اليهودي للمسيح وعلاقته بالتقارب المسيحي اليهودي المعاصر. د/ فرج الله عبد الباري.

(٢) الرحيق المختوم للمباركفوري ص (٢٨٩).

أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الأنفال :٤٤] . وهذا الأمر المقدر كائن لا محالة، ينصر الله فيه الإسلام ويعز المسلمين ويحقق ما توعد به اليهود من العذاب الدنيوي والأخروي، كما قال سبحانه ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف :١٦٧] .

وعلينا أن نفهم عاقبة اليهود من مثل هذه الآيات ولا يغررنا تقلبهم في البلاد لأن الأعمال بخواتيمها، والخواتيم مضمونة إن شاء الله لجند الحق، الذين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله.

* * *

الفصل الأول
عقيدة الألوهية عند اليهود

عقيدة الألوهية عند اليهود

الذى يقرأ عن الإله في التصور اليهودي يجد أن اليهود يجعلون هذا الإله خاصًا بهم، هذا من ناحية؟؟

ومن ناحية أخرى يصفونه بصفات لا تليق بالأسوياء من البشر فضلاً عن الله رب العالمين.

فهم يصفونه بأنه يجيء إلى الأرض ويأكل ويشرب ويبكي وتتورم عيناه ويتعب ويستريح ويندم ويصارع إلى غير ذلك من الصفات المذمومة. تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وسوف نعرض في هذا الفصل نماذج من افتراءات اليهود على الذات الإلهية كما وردت في مصادرهم سواء في العهد القديم أو في التعاليم الشفوية المعروفة عندهم بالتلمود، ثم نفند هذه الافتراءات متبعين الحق الذى ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، إذ إن الإسلام هو المحور الذى نرتكز عليه ونحتكم إليه.

النزعة المادية عند اليهود في الألوهية:

معلوم أن موسى عليه الصلاة والسلام قد جاء لبني إسرائيل بالدعوة إلى وحدانية الله وعبادته.. يقول تعالى مخاطبًا موسى عليه السلام ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ﴾ [طه :١٢-١٦] . أي أن الله أوحى إلى موسى بالوحدانية والعبادة لله وحده، وقد أمر موسى قومه بذلك.

ولكن اليهود لم يستطيعوا في أي فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد وكانوا دائمًا يتجهون إلى الوثنية في تصورهم للإله وكانوا

كثيرًا ما يقلدون معبودات الأمم المجاورة التي كانت لها حضارة أو التي استولت عليهم في فترة من الفترات بناء على أن المنهزم يقلد المنتصر غالبًا[١] وبقيت فيهم عبادة الأوثان بعد دعوة إبراهيم وظهور الأنبياء[٢].

ويبين الدكتور/ فتحي الزغبي العوامل التي أدت إلى تأثر اليهود بالوثنية فيذكر أن هناك ثلاثة عوامل رئيسية ساعدت اليهود على التأثر بالديانات الوثنية القديمة.

العامل الأول: ما تعرض له اليهود في فترات السبي والاضطهاد والاختلاط بالأمم الوثنية على مدى تاريخهم القديم.

العامل الثاني: فقدهم التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وتحريفهم لها وانتفاء قدسية العهد القديم.

العامل الثالث: الاستعداد النفسي للانحراف، لأن اليهود لو لم يكن لديهم الاستعداد النفسي لتقبل الوثنية والتعبد لمظاهرها لكان من الممكن أن يتغلبوا على ما قاسوه من اضطهاد وسبي، وأن يقاوموا ما فرضه عليهم أسيادهم وأن يرفضوا كل ما أكرهوا عليه وما يتعارض مع دينهم الذى جاء به موسى عليه الصلاة والسلام من وحدانية الله وعبادته.

ولكن الواقع أن اليهود كانت لديهم سرعة الاستجابة للعقائد الوثنية واندفعوا بشدة نحو عبادتهم واستغرقوا في طقوسها. وفي بعض الأحيان كانوا هم الذين يقبلون عليها ويلحون في طلبها دونما ضغط وإكراه[٣].

وهم حين أقبلوا على الوثنية أقبلوا على أحط ماكان عند الأمم.

ينقل الدكتور/ أحمد شلبي عن غوستاف لوبون قوله: «عندما خرج هؤلاء

(١) اليهودية للدكتور أحمد شلبي ص (١٧٢).

(٢) الله: العقاد ص (١٠٨).

(٣) اليهودية وتأثرها بالأديان القديمة ص (٤١٣) بتصرف يسير.

البدويون الذين لا أثر للثقافة فيهم من باديتهم ليستقروا بفلسطين وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدنة من زمن طويل فكان أمرهم كأمر جميع العروق الدنيا التي تكون في أحوال مماثلة فلم يقتبسوا من تلك الأمم العليا سوى أخس ما في حضارتها من عيوب وعادات ضارة وخرافات تقربوا لجميع آلهة آسيا وقربوا «لعشتروت ولبعل ولمولك» من القرابين ما هو أكثر جدًّا مما قربوا لإله قبيلتهم «يهوه» العبوس الحقود الذى لم يثقوا به إلا قليلاً من الزمن على الرغم من كل إنذار جاء به أنبياؤهم[1] وهذا ما جعل إله اليهود واحدًا من الآلهة الوثنية فهو إله اليهود كما أن آشور هو إله الآشوريين، ومردوك هو إله البابليين، وبعل هو إله الكنعانيين ومولوك هو إله العمونيين وراجون هو إله الفلسطينيين[2].

ونظرًا لكل هذه التأثيرات فقد تأثر مفهوم الألوهية عند اليهود بما أصبحوا عليه من نفسية معقدة وملتوية نتيجة عوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية كثيرة وأن ما بين أيديهم من أسفار العهد القديم قد صورت الإله.

فجعلته أشبه بيهودي مثلهم يحب ما يحبون ويكره ما يكرهون[3].

وسوف نتحدث عن النزعة المادية عند اليهود خاصة فيما يتعلق بالألوهية، وقد ظهرت هذه النزعة في المواقف التالية:

الموقف الأول: طلبهم من موسى أن يجعل لهم إلهًا كعباد الأوثان.

الموقف الثاني: اتخاذهم العجل وعبادتهم له من دون الله.

الموقف الثالث: تعليق تصديقهم لموسى برؤيتهم الله جهرة.

الموقف الرابع: قولهم العزير ابن الله، واتخاذهم الأحبار أربابًا من دون الله.

---

(١) اليهودية للدكتور أحمد شلبي ص (١٨٢) عن غوستاف لوبون اليهود في الحضارات الأولي ص (٢٠).

(٢) اليهودية وتأثرها بالأديان القديمة ص (٦١٨).

(٣) الجدل في القرآن.

الموقف الخامس: وصفهم الله بما لا يليق به من الصفات.

وسوف نعرض الشبهة ثم نتبعها بالرد عليها.

الشبهة الأولى:

طلبهم من موسى عليه الصلاة والسلام أن يجعل لهم إلهًا من الأصنام.

مر بنا عند حديثنا عن النزعة المادية عند المصريين أن المظاهر المادية الوثنية كانت من الكثرة بمكان بحيث لم تخل مقاطعة من التوجه إلى أكثر من مظهر وثني كالحيوانات والنباتات والجمادات. ويبدو أن اليهود قد ألفوا تلك الوثنية في مصر وتأثروا بها وغلبت عليهم الخصال المذمومة ودفعهم أن يطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهًا ماديًا محسوسًا، وذلك بعد أن مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم.

وطلبهم هذا يؤكد ما ذهب إليه الدكتور فتحي الزغبي من أن اليهود كانت لديهم ميول نفسية نحو الوثنية بدون ضغط أو إكراه من أحد(١).

يصور القرآن الكريم نزعتهم المادية في هذا الموقف في قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الأعراف :١٣٨] .

الرد على هذه الشبهة:

إن بني إسرائيل لم يطل بهم العهد منذ أن كانوا يسامون سوء العذاب في ظل الوثنية الجاهلية عند فرعون وملئه وهاهم أولاء ما أن يجاوزوا البحر حتى تقع أبصارهم على قوم وثنيين عاكفين على أصنام لهم مستغرقين في طقوسهم الوثنية وإذا بهم يطلبون من موسى الذى جاءهم بالتوحيد أن يجعل لهم إلهًا وثنًا يعبدونه(٢). ولنتأمل صيغة الأمر اجعل لنا إلهًا، والأمر لموسى الذى

(١) اليهودية وتأثرها بالأديان القديمة (٤١٣) وقصص الأنبياء للنجار ص (١٥٠، ٢٥١).

(٢) في ظلال القرآن (٣/ ١٣٦٥).

أنقذهم الله على يديه من فرعون وملئه، والذى دعاهم إلى التوحيد الخالص وقد تمثل رد القرآن الكريم عليهم في الآتي:

[أ] وصفهم بالجهل:

يقول تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف :١٣٨-١٤٠] . لقد حكم الله عليهم بالجهل إذ لا جهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع وذلك لأن طلبهم كفر وجهل بعد أن جاوز بهم موسى البحر وأنقذهم مما كان يصنعه فرعون بهم من استحياء للنساء وقتل للأولاد، ولم يحدد الله[1] نوع الجهل وطبيعته ليكون في إطلاق اللفظ ما يعني الجهل الكامل الشامل.

الجهل من الجهالة ضد المعرفة والجهل ضد العقل فما ينبعث مثل هذا القول إلا من الجهالة والحمق إلى أبعد الحدود، ثم ليشر إلى أن الانحراف عن التوحيد إلى الشرك إنما ينشأ من الجهل والحماقة[2].

يقول الرازي: «**وتقرير هذا الجهل ما ذكر أن العبادة غاية التعظيم فلا تليق إلا بمن يصدر عنه غاية الإنعام وهي بخلق الجسم والحياة والشهوة والقدرة والعقل وخلق الأشياء المنتفع بها والقادر على هذه الأشياء المنتفع بها والقادر على هذه الأشياء ليس إلا الله تعالى توجب بألا تليق العبادة إلا به**»[3]. ولكن اليهود أرادوا أن يعدلوا عن الخالق القادر إلى صنم لا يسمع ولا يبصر.

[ب] بيان خسران المشركين وتهديد من صنع صنيعهم:

وذلك لأن الله جل وعلا حكم على عباد الأصنام بأنهم متبر ما هم فيه أي مدمر مهدم، وباطل ما كانوا يعملون أي ما عملوا شيئًا من عبادتها فيما سلف

---

(١) الكشاف (١/ ١١٠).

(٢) ظلال القرآن (٣/ ١٣٦٦) بتصرف.

(٣) التفسير الكبير للرازي (٢٤/ ٢٢٤).

إلا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به، وفي الآية تعريض باليهود الذين طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهًا، فكأنما هم المعرضون للتبار وأنه لا يعدوهم ألبتة وأنه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا، ويبغض لهم ما أحبوا[1].

[ج] التعجب من مقابلة الإحسان بالإساءة:

لقد تعجب موسى عليه الصلاة والسلام من طلبهم وقال فيما حكاه القرآن الكريم عنه: ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٤٠-١٤١] . وهو تعجب يحمل معنى التوبيخ والإنكار أي أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودًا، والإله ليس شيئًا يطلب ويتخذ بل الإله هو الله الذى يكون قادرًا على الإنعام بالإيجاد وإعطاء الحياة وجميع النعم، وبعد أن وبخهم وبين استحالة مطلبهم، ذكرهم بنعم الله عليهم وأنه كان الواجب عليهم أن يقابلوا تلك النعم بمزيد من الشكر والعبادة لا بطلب الكفر والإغراق فيه»[2].

وهذه المنة التي يمنها الله على بني إسرائيل بتفضيلهم على عالمي زمانهم يتجلى في اختيارهم لرسالة التوحيد من بين المشركين والعبادة وليس وراء ذلك من منة.

ثم الإنجاء من فرعون وملئه وذلك كان حاضرًا في أذهانهم وأعصابهم، ولقد كانت هذه المنة أيضًا كفيلة بأن تُذكر وتشكر.

وهذا الجمع بين ابتلاء العذاب وابتلاء النجاة، الابتلاء بالشدة والابتلاء بالرخاء للإعذار لهم قبل الأخذ الشديد بعد أن لم يفلح الابتلاء معهم في استصلاح القلوب[3].

---

(١) الكشاف (٢/ ١١٠).

(٢) الكشاف (٢/ ١١٠)، التفسير الكبير للرازي (٢٤/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥).

(٣) ظلال القرآن (٣/ ١٣٦٧).

الشبهة الثانية:

عبادتهم العجل من دون الله:

وملخص هذه الشبهة: أن اليهود ألفوا أن يروا المصريين يعبدون عجل أبيس[١] وكانت لهم عناية فائقة بعبادته، وكان يتخذ صورة ثور صغير، وكان ينحت من الذهب، ولذلك فإن اليهود كانوا متأثرين بعبادته إذ صنعوا عجلاً من ذهب وعبدوه بعد أن تركهم موسى وذهب لمناجاة ربه[٢].

وقد وردت قصة عبادة العجل في القرآن الكريم وفي العهد القديم.. وسنعرضها من المصدر الموثوق به وهو القرآن الكريم، ثم نذكر طرفًا مما ورد عنها في العهد القديم، لنرى الفرق بين الحق والباطل.

أولاً: من القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف :١٤٨] .

ويقول تعالى ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ [طه :٨٧-٩٠] .

ويقول ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة :٩٣] .

هذا ما ورد عن العجل في القرآن الكريم، أنه بينما موسى قد ذهب لمناجاة

---

(١) قصة الحضارة (٢/ ١٥٨)، مصر القديمة: سليم حسن (١٢/ ٧١١، ٧١٢).

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص (٦٠٧).

ربه إذا بالسامري يصنع لقوم موسى عجلاً جسدًا له خوار.

ثانيًا: في العهد القديم:

ورد في سفر الخروج: «ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون قالوا له قم أصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر ولا نعلم ماذا أصابه؟ فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان أبنائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل، وصنع منه عجلًا مسبوكًا فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر فلما نظر هارون بنى مذبحًا أمامه ونادى هارون وقال غدًا عيد للرب فبكروا في الغد واصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب[1].

وتكاد تتفق رواية سفر الخروج مع الآيات القرآنية في عبادة اليهود للعجل بعد ذهاب موسى عليه الصلاة والسلام لميقات ربه مع الاختلاف حول من صنع لهم العجل فبينما سفر الخروج يحدده بهارون عليه الصلاة والسلام إذا بالقرآن الكريم ينفي ذلك نفيًا تامًا عن هارون ويحدد أن الذى صنع العجل هو السامرى. وسنعرض لهذا مبينين أن الحق هو ما ذكره القرآن الكريم.

الرد على شبهة عبادة اليهود للعجل[2]:

لقد تركز رد القرآن الكريم على أن العجل ما هو إلا صنم لا يسمع ولا يعقل ولا يملك لنفسه فضلاً عن غيره ضرًا ولا نفعًا.. يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه :٨٩] .

(١) سفر الخروج ٣٢ - ١ - ٦.

(٢) دار خلاف بين المفسرين حول حقيقة العجل هل ظل كما هو؟ أو أنه صار عجلاً من لحم ودم له خوار؟ فيرى ابن كثير أن المفسرين على قولين في ذلك والله أعلم (ابن كثير ٢/ ٢٤٧). ويفصل الرازي حجة كل فريق فقد ذهب البعض إلى أنه كان من ذهب ثم انقلب إلى عجل من لحم ودم واحتجوا بقوله تعالى: ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ [الأعراف :١٤٨] والجسم اسم للجسم ..=

لقد تعجب القرآن الكريم من صنيعهم وأنكر عليهم واستهزأ بهم حين اتخذوا العجل الذى لا يجيبهم إذا سألوه ولا إذا خاطبوه ولا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا لا في دنياهم ولا في أخراهم.

قال ابن عباس رضى الله عنهما: «**لا والله ما كان خواره إلا أن تدخل الريح في دبره فتخرج من فمه فيسمع له صوت**» وحاصل ما تذرع به هؤلاء الجهلة أنهم تورعوا عن زينة القبط فألقوها عنهم وصنعوا منها العجل فعبدوه فتورعوا عن الأمر الحقير وفعلوا الكبير[1].

يقول الرازي: اعلم أنه لما حكى مذهبهم احتج على فساد كون ذلك العجل إلهًا في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف :١٤٨] .

وتقرير هذا الدليل أن العجل لا يمكنه أن يكلمهم ولا يمكنه أن يهديهم إلى الصواب والرشد وكل من كان كذلك جمادًا أو حيوانًا يكون عاجزًا وعلى التقديرين فإنه لا يصلح للإلهية[2] فهو لم يكن عجلاً حيًا يسمع قولهم ويستجيب لندائهم على عادة العجولْ البقرية فهو في درجة أقل من درجة الحيوانية وهو بطبيعة الحال لا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا في أبسط صورة فهو لا ينطح ولا يرفس ولا يدير طاحونة ولا ساقية ومن ثم وصفهم الله بالظلم

=الذي يكون من لحم ودم. ونازع فريق آخر فيما ذهب إليه أصحاب الرأي الأول فقالوا: إن الجسد اسم لكل جسم كثيف سواء كان من اللحم والدم أو لم يكن كذلك. واحتجوا أيضًا بأن قوله تعالى له خوار يدل على أنه حيوان لأن الخوار لا يتأتى إلا من الحيوان. ورد من ذهبوا إلى أنه من الذهب وأنه لم يتحول إلى لحم ودم بأن الصوت لما أشبه الخوار لم يبعد إطلاق لفظ الخوار عليه (الرازي ١٥/ ٦).

والذى تستريح إليه النفس أن العجل كان من ذهب حلي المصريين ولا داعي للقول بأنه تحول إلى عجل من لحم ودم وذلك لأمرين: الأول: أنه لا حكمة ولا فائدة في تحوله إلى عجل حقيقي من لحم ودم والأولى أن نقف عند النص. الثاني: أنه لو تحول إلى عجل حقيقي لكان هذا مسوغًا لاستمرار اليهود لعبادته وافتتانهم به وبمن صنعه.

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٦٢).

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ٧).

لأنهم وضعوا كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعًا منهم ولا أول مناكيرهم(١).

ونلاحظ أن المنهج الذى سار عليه القرآن الكريم في تسفيه عباد الأصنام من أهل مكة استخدمه مع بني إسرائيل.

ففي جانب المشركين يقول ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [يونس :١٨] .

ويقول في جانب اليهود ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه :٨٩] لأن عقلية المشرك لا تتغير ولا تتبدل في كل زمان ومكان.

وهذا ما راعاه القرآن الكريم وكدليل عملي على أن هذا العجل لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا فضلاً عن أن يملك لغيره فعل فيه سيدنا موسى كما فعل سيدنا إبراهيم مع الأصنام من قبل. وكما أن الأصنام لا تدافع عن نفسها فإن العجل أيضًا لم يدافع عن نفسه.

ويعرض الله سبحانه وتعالى ما فعله سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام مع العجل الذهبي ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه :٩٧] .

«ينقل القرطبي عن السدي قوله ذُبح العجل فسال منه الدم كما يسيل من العجل إذا ذبح ثم برد عظامه بالمبرد وحرقه وهذا على رأي من قال بأن العجل صار عجلًا من لحم ودم، فإن اللحم والدم إذا أحرقا صارا رمادا فيمكن تذريته في اليم فأما الذهب فلا يصير رمادًا»(٢) أو أن العجل ظل على حقيقته الجمادية ولكن موسى عليه الصلاة والسلام عرف ما صير به الذهب رمادًا وكان ذلك من آياته(٣).

---

(١) الكشاف (٢/ ١١٨)، في ظلال القرآن (٤/ ٣٣٤٨).
(٢) القرطبي (١١/ ٢٤٢، ٢٤٣).
(٣) نفسه (١١/ ٢٤٣).

وبعد حرقه كانت تذريته ونسفه في البحر، وسر التأكيد في ﴿لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ [طه :٩٧] أي لنفعلن به ذلك بحيث لا يبقى منه عين ولا أثر ولا يصادف منه شيء فيؤخذ، ولقد فعل موسى عليه الصلاة والسلام ما أقسم عليه كله كما يشهد به الأمر بالنظر، وإنما لم يصرح به تنبيهًا على كمال ظهوره واستحالة الخلف في وعده المؤكد باليمين وفي ذلك زيادة عقوبة للسامري وإظهار لغباوة المفتونين به.

وسر هذا الفعل أنه لما كان قد أخذ السامري القبضة من أثر فرس جبريل وهو داخل البحر ناسب أن ينسف ذلك العجل الذى صاغه من الحلي وأن يلقيه في البحر إذ إن أصله من حُلي القبط. وكما قذف الله بأصحاب الحلي في البحر قذف بالعجل أيضًا فكأن المالكين وحليهم قد غرقوا[١].

تبرئة سيدنا هارون مما نسبه إليه كاتب سفر الخروج:

وينبغي أن نوضح أن الله جل وعلا برأ سيدنا هارون مما نسبته إليه اليهود إذ إنهم نسبوا إليه زورًا أنه هو الذى صنع لهم العجل من الذهب[٢]، وهذا دين اليهود إذ إنهم نسبوا إلى أنبيائهم كل قبيح ومستنكر وقد صور القرآن الكريم ما دار بين سيدنا موسى وسيدنا هارون في هذا الأمر على النحو التالي يقول تعالى ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ [طه :٩٠-٩٤] .

فالقرآن الكريم يبين أن هارون نصحهم ونبههم إلى أن هذا ابتلاء وأمرهم

---

(١) روح المعاني (١٦/ ٢٥٨).

(٢) انظر سفر الخروج (٣٢/ ١ - ٦).

باتباعه وطاعته كما تواعدوا مع موسى إلى أن يرجع إليهم بعد ميعاده مع ربه على الجبل، ولكنهم بدلاً من الاستجابة لهارون التووا وتملصوا من نصحه ومن عهدهم لنبيهم(١).

يقول الرازي: «واعلم أن هارون عليه الصلاة والسلام سلك في هذا الوعظ أحسن الوجوه:

أولًا: لأنه نهاهم وزجرهم عن الباطل بقوله: ﴿إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ [طه :٩٠] .

ثانيًا: أنه دعاهم لمعرفة الله وتوحيده بقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [طه :٩٠].

ثالثًا: أنه دعاهم إلى النبوة واتباع أوامر النبي بقوله: ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ [طه : ٩٠] .

رابعًا: أنه دعاهم إلى الشرائع بقوله: ﴿وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ [طه :٩٠] .

ويعلق الرازي على هذا بقوله وهذا هو الترتيب الجيد لأنه لابد قبل كل شيء من إماطة الأذى عن الطريق وهو إزالة الشبهات ثم معرفة الله تعالى هي الأصل ثم النبوة ثم الشريعة، فثبت أن هذا الترتيب على أحسن الوجوه ولكنهم لجهلهم وعنادهم قابلوا هذا الترتيب الحسن في الاستدلال بالتقليد والجمود فقالوا: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه :٩١](٢).

وهذا هو اللائق بنبي من أنبياء الله الكرام أن يزجرهم وينهاهم وأن يبذل أقصى ما في وسعه وقد فعل ذلك إلى درجة أن اليهود هموا بقتله.

يصور هذا القرآن الكريم على لسان سيدنا هارون ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف :١٥٠] ، والذى ذكره القرآن الكريم هو الحق، أما ما ذكره

---

(١) ظلال القرآن (٤/ ٢٣٤٨).

(٢) انظر التفسير الكبير للرازي (٢٢/ ١١٦).

العهد القديم فهو كذب وبهتان على أنبياء الله الكرام.

السامري ومصيره:

أما السامري الذى صنع العجل فالقرآن الكريم يذكر الحوار الذى دار بينه وبين نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام يقول تعالى على لسان سيدنا موسى ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه :٩٥-٩٦] .

يقول الشهيد سيد قطب: «**لقد اتجه موسى عليه الصلاة والسلام إلى السامري في النهاية بعد أن وجه الكلام إلى قومه لأنهم المسئولون ألا يتبعوا كل ناعق ثم وجه الكلام إلى هارون لأنه المسئول بعد موسى في أن يحول بينهم وبين عبادة العجل، أما السامري فذنبه يجيء متأخرًا لأنه لم يفتنهم بالقوة ولم يضرب على عقولهم وإنما أغواهم وكانوا يملكون أن يثبتوا على هدي نبيهم الأول ونصح نبيهم الثاني فالتبعة عليهم أولاً وهم كانوا على استعداد للضلال، ثم على صاحب الفتنة والغواية أخيرًا**»(١).

وقد دار خلاف بين العلماء حول قول السامري ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا﴾ [طه :٩٥-٩٦] هل الرسول موسى عليه السلام أو جبريل؟ فجمهور المفسرين(٢) على أن الرسول مقصود به جبريل عليه السلام.

ونقل الفخر الرازي عن أبي مسلم الأصفهاني قوله: «**ليس في القرآن الكريم ما يدل على ما ذكره المفسرون، فهاهنا وجه آخر وهو أن يكون المراد بالرسول موسى عليه الصلاة والسلام وبأثره سنته ورسمه الذى أمر به أما دعاؤه موسى رسولاً مع جحده وكفره فعلى مثل مذهب من حكى الله عنه قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ**

---

(١) انظر في ظلال القرآن (٤/ ٢٣٤٨) بتصرف.

(٢) انظر القرطبي (١١/ ٢٣٩)، وابن كثير (٣/ ١٦٣)، والألوسي (١٦/ ٢٥٤)، والكشاف (٢/ ١١٨).

لَمَجۡنُونٌ﴾ [الحجر :٦] وإن لم يؤمنوا بالإنزال»[١].

وقد علق «الرازي» على هذا الرأي بقوله: «**اعلم أن هذا القول الذى قاله أبو مسلم ليس فيه إلا مخالفة المفسرين ولكنه أقرب إلى التحقيق لوجوه منها:**

أولًا: أن جبريل عليه الصلاة والسلام ليس مشهورًا باسم الرسول ولم يجر له فيما تقدم ذكر حتى تجعل لام التعريف إشارة إليه فإطلاق لفظ الرسول لإرادة جبريل كأنه تكليف بعلم الغيب.

ثانيًا: أنه لابد فيه من الإضمار وهو قبضة من أثر حافر فرس الرسول والإضمار خلاف الأصل.

ثالثًا: أنه لابد من التعسف في بيان أن السامري كيف اختص من بين جميع الناس برؤية جبريل ومعرفته؟ ثم كيف عرف أن لتراب حافر فرسه هذا الأثر؟

رابعًا: أنه لو جاز اطلاع بعض الكفرة على تراب هذا شأنه لكان لقائل أن يقول: فلعل موسى اطلع على شيء آخر يشبه ذلك فلأجله أتي بالمعجزات وهذا يفتح الباب في الطعن في المعجزات»[٢].

والذى يراه الباحث أن ما ذهب إليه أبو مسلم الأصفهاني ورجحه الرازي هو الأولى بالصواب وإن خالف جمهور المفسرين إذ لا يتصور أن السامري يرى جبريل عليه الصلاة والسلام ونحن نعلم أن رؤية جبريل لا تكون إلا لمن منَّ الله عليه بالرسالة والسامري لم يكن من أولئك المصطفين الأخيار.

وقد بين القرآن العقاب الذى وقع على السامري في الدنيا والآخرة.. يقول تعالى: ﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي

(١) التفسير الكبير (٢٢/ ١١١).

(٢) التفسير الكبير للرازي (٢٢/ ١٢٢) بتصرف.

ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه :٩٧] .

يذكر الزمخشري: أن السامري عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء أطم منها وأوحش، وذلك أنه مُنع من مخالطة الناس منعًا كليًا وحُرم عليهم ملاقاته ومسالمته ومبايعته، ومواجهته، وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضًا وإذا اتفق أن يماس أحدًا رجلاً أو امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس أوحش من القاتل اللاجئ إلى الحرم ومن الوحش في البرية هذا في الدنيا، أما في الآخرة فإن الله حدد له موعدًا لن يخلفه معه بل ينجزه على ما أشرك وأفسد في الأرض[١].

هذا الموعد في الآخرة كما ذهب جُل المفسرين.

عقاب الذين اتخذوا العجل وعبدوه من دون الله:

فإن توبتهم كانت بأن يقتلوا أنفسهم يقول الله جل وعلا ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة :٥٤] .

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف :١٥٢] .

ويذكر الطبري: «أن الذين عبدوا العجل ضربت عليهم الذلة وحل بهم الغضب ولم تقبل توبتهم حتى قتلوا أنفسهم وقتل بعضهم بعضًا امتثالاً لأمر الله جل وعلا حتى قيل لهم كفوا فكان ذلك شهادة للمقتول وتوبة للحي»[٢] .

استمرار النزعة المادية لدي اليهود بعد موسى وهارون:

لم يقتصر الاتجاه الوثني على بني إسرائيل في عهد موسى وهارون ولم

(١) انظر الكشاف (٢/ ٥٥١)، وأبو السعود (٣/ ٤٨٨).

(٢) القرطبي (١/ ٤٠١) بتصرف.

يعتبر من بعدهم مما حدث لآبائهم وأجدادهم من توجههم إلى غير الله بالعبادة وما حاق بهم من لعنة الدنيا والآخرة.

يحدثنا سفر الملوك الأول أن يربعام ابن سيدنا سليمان(١) على حد زعم اليهود قد صنع لأبناء مملكته عجلين من الذهب.

يقول سفر الملوك الأول: «**وقال يربعام في قلبه الآن ترجع المملكة إلى بيت داود إن صعد هذا الشعب ليقربوا ذبائح في بيت الرب في أورشليم، يرجع قلب هذا الشعب إلى سيدهم إلى رحبعام ملك يهوذا ويقتلوني ويرجعوا إلى رحبعام ملك يهوذا فاستشار الملك وعمل عجلي ذهب وقال لهم كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم هو ذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر**»(٢).

ويعلق الدكتور فتحي الزغبي على النص السابق بقوله: «**وقد اعتبرت عبادة عجلي الذهب في مملكة إسرائيل خطية يربعام حيث إنه ارتكب خطيئة في حق «يهوه»** وظلت الأسفار التي تحكي تاريخ المملكة تنطق بعبارات التنديد والشجب التي تدين يربعام على هذه الخطيئة بل إن هذه الأسفار لتذكر أن هذه الخطيئة توارثها ملوك إسرائيل حتى سقوط السامرة ووقوع السبي الآشوري وأن خطاياهم كانت تنحصر في الغالب في أنهم ساروا وراء خطيئة يربعام ويعزي السبب في اتخاذ يربعام حيث ألقوا العجول الذهبية ولم ينزعوها»(٣).

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا: لماذا اتخذ يربعام العجول الذهبية؟

إن نص سفر الملوك يبين أنه إن ترك شعب مملكته يذهب إلى أورشليم لعبادة الرب فإنهم سيعودون إلى «رحبعام» ويتغلبون على «يربعام» فصنع لهم هذين العجلين ليصرفهم عن الذهاب إلى أورشليم فحب الرياسة والملك هي التي جعلته يصنع لهم العجول الذهبية.

---

(١) انظر مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (٩٠).

(٢) سفر الملوك الأول ١٢ - ٢٦ - ٢٩.

(٣) اليهودية وتأثرها بالأديان القديمة ص (٦٧٤).

وسبب آخر يعزيه الدكتور: فتحي الزغبي وهو «التأثر بالوثنية المصرية فقد ثبت أن «يربعام» هرب إلى مصر حسب ما ورد بالأسفار وقام بالثورة على «رحبعام» بتشجيع من مصر بل إنه حاول أن يضعف نفوذه فشجع فرعون مصر على غزو مملكة يهوذا ومحاربة رحبعام»(١).

الشبهة الثالثة:

طلبهم من موسى أن يروا الله جهرة:

إن عامة اليهود يتصورون الله في صورة جسم آدمي ونظرًا لكثافة حسهم ومادية فكرهم فإنهم طلبوا أن يروا الله جهرة والذى طلب السبعون المختارون الذين اختارهم موسى لميقات ربه وبالرغم من النعم التي أنعم الله بها عليهم إلا أنها لم تغير شيئًا من طبيعتهم التي لا تؤمن إلا بالمحسوس والتي تظل تجادل وتماطل ولا تستجيب إلا تحت وقع العذاب والتنكيل(٢).

وقد صور القرآن الكريم موقفهم هذا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة :٥٥] .

وفي قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ﴾ [النساء :١٥٣] .

وقد أورد الرازي أقوال المفسرين في وقوع هذا الطلب من موسى عليه الصلاة والسلام وخلاصة ما ذهبوا إليه: أن هذه الواقعة كانت بعد أن كلف الله جل وعلا عبدة العجل بالقتل، فإن موسى لما رجع من الطور إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل وقال لأخيه والسامري ما قال وحرق العجل واختار من قومه سبعين رجلاً من خيارهم، فلما خرجوا إلى الطور قالوا لموسى

---

(١) اليهودية وتأثرها بالأديان القديمة ص (٦٧٤).

(٢) في ظلال القرآن (١/ ٧٢).

سل ربك حتى يسمعنا كلامه فسأل موسى عليه الصلاة والسلام ذلك فأجابه الله إليه فلما كلم موسى ربه سمع القوم كلام الله لموسى قال القوم بعد ذلك لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فماتوا جميعًا[١].

الرد على هذه الشبهة:

نظرًا للعتو والظلم الذى اقترفوه بسؤالهم فإن الله لم يجادلهم ويسفه رأيهم وإنما انتقم منهم فأخذتهم الصاعقة وكانت على ما رأي المحققون هي سبب الموت وهذا السبب مختلف فيه على ثلاثة أقوال:

أولًا: أن الصاعقة نار وقعت من السماء فأحرقتهم.

الثاني: أنها صيحة جاءت من السماء.

الثالث: أن الله أرسل عليهم جنودًا سمعوا بصوتها فخروا صعقين ميتين يومًا وليلة[٢].

يذكر الزمخشري: أن الصاعقة نزلت على الذين ذهبوا مع موسى لميقات ربه حين طلبوا رؤية الله جهرة[٣] فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان

---

(١) انظر الرازي (٣/ ٩٤)، والكشاف (٢/ ١٣٣).

(٢) الكشاف (١/ ٢٨٢) والرازي (٣/ ٩٧).

(٣) دار خلاف بين أهل السنة والمعتزلة حول رؤية الله في الدنيا والآخرة، فالمعتزلة ينفون ذلك مستدلين بآيات من القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف :١٤٣] . ومثل قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ [الأنعام :١٠٣] . ويؤولون الآيات التي تصرح برؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة. انظر الكشاف (٢/ ١١٢، ١١٣)، (٢/ ٢٨٢)، (٤/ ١٩٢)، والأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص (٢٤١ - ٢٦١).

أما أهل السنة فيثبتونها عقلاً في الدنيا ولم تقع إلا لسيدنا رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج وشرعًا في الآخرة لكثرة النصوص الواردة في ذلك بل ويعتبرها أهل السنة هي الغاية التي يشمر لها المشمرون ويتنافس فيها المتنافسون على حد تعبير ابن القيم في كتابه حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص (١٩٦) وانظر الإبانة للأشعري (٥/ ١٢ - ١٦) والفصل لابن حزم (ج٣) وتحفة المريد ص (١٢٩) والانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال بهامش الكشاف (٢/ ١١٢ - ١١٣)، (١/ ٢٨٢)، (٤/ ١٩٢)، والأربعين في أصول الدين للرازي ص (١٩٨).

فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط الله عليهم الصاعقة كما سلط على أولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمها بعظم المحنة[١]. وكانت هذه الصاعقة جزاء ظلمهم وتعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحالة التي كانوا عليها وإنكار اليهود للرؤية تعنتًا لا يقتضى امتناعها مطلقًا[٢].

وإن سؤالهم لموسى عليه الصلاة والسلام يحوى مغالطة **«لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة»** فما قيمة الإيمان بعد رؤية الله، وإن أخص ما يميز المؤمنين أنهم يؤمنون بالغيب ومن ثمَّ اعتبر الله عز وجل سؤال اليهود للرسول ﷺ أن ينزل عليهم كتابًا من السماء أهون من طلب أجدادهم الذين طلبوا أن يروا الله جهرة في الدنيا.

يقول الرازي: **«فإن قال قائل: فما السبب في استعظام سؤال الرؤية؟ الجواب في ذلك يحتمل وجوهًا:**

أحدها: أن رؤية الله تعالى لا تحصل إلا في الآخرة فكان طلبها في الدنيا مستنكرًا.

ثانيها: أن حكم الله تعالى أن يزيل التكليف عن العبد حال ما يرى الله فكان طلب الرؤية طلبًا لإزالة التكليف.

ثالثها: أنه لما تمت الدلائل على صدق المدعي كان طلب الدلائل الزائدة تعنتًا والمتعنت يستوجب التعنيف.

رابعها: لا يمتنع أن يعلم الله تعالى أن في منع الخلق رؤيته سبحانه ضربًا من المصلحة المهمة فلذلك استنكر طلب الرؤية في الدنيا كما علم أن في إنزال الكتاب من السماء وإنزال الملائكة فيه مفسدة عظيمة فلذلك استنكر طلب ذلك[٣].

---

(١) الكشاف (١/ ٢٨٢).

(٢) روح المعاني (٦/ ٧).

(٣) التفسير الكبير للرازي (٣/ ٩٣).

شبهتهم في قولهم عزيز ابن الله:

وقد عرض الله جل وعلا هذه الشبهة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة :٣٠] .

عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى ومحمد بن دحية، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف فقالوا كيف نتبعك، وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أن عزيرًا ابن الله فأنزل الله ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة :٣٠] .

الرد على هذه الشبهة:

لقد رد الله على ما ذهب إليه اليهود قال ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة :٣٠] .

يقول الرازي: فإن قيل ما معنى تخصيصه لهذا القول بهذه الصفة؟ الجواب من وجوه:

الأول: أنه يراد به قول لا يعصمه برهان فما هو إلا لفظ يتفوهون به فارغ من المعنى المعتبر لحقه، والحاصل أنهم قالوا باللسان قولاً: ولكنه لم يحصل عند العقل من ذلك القول أثر لأن إثبات الولد للإله مع أنه منزه عن الحاجة والشهوة والمضاجعة والمباضعة قول باطل ليس عند العقل منه أثر.

الثاني: أنهم دعوا الخلق إلى هذه المقالة حتى وقعت في الأفواه والألسنة والمراد منه مبالغتهم في دعوة الخلق إلى المذهب[١].

ونميل إلى الرأي الأول الذى ذهب إليه الرازي فهو الأولى بالقبول والمناسب مع دعوى الولدية لله. إذ إن هذه الدعوة لا دليل عليها فضلاً عن

(١) الرازي (١٥/ ٣٥).

أن اليهود لم يقولوا جميعًا بهذا الراى ولا يدعون إليه. ولكن الله أجرى ذلك عليهم على عادة العرب في إيقاع اسم الجماعة على الواحد[١].

أما قوله تعالى: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [التوبة :٣٠] فإن غالب المفسرين قالوا: إن المقصود بالذين كفروا مشركو العرب.

يقول القرطبي: «**يضاهئون قول الذين كفروا من قبل هم العرب حين اتخذوا اللات والعزى، أو حين قالوا الملائكة بنات الله أو قول أسلافهم فقلدوهم في الباطل واتبعوهم على الكفر**»[٢].

ولكن رأينا أن قول اليهود هذا له نظائر عند المصريين والهنود وغيرهم من الأمم الوثنية القديمة[٣].

اتخاذهم الأحبار أربابًا من دون الله:

صور القرآن الكريم شبهتهم مع النصارى في قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة :٣١] ، واتخاذهم الأرباب هنا كما ورد في سبب نزول الآية ليس المراد منه العبادة ولكن الطاعة في تحليل الحرام وتحريم الحلال.

فقد روى الإمام أحمد والترمذى أن عدي بن حاتم الطائي دخل على رسول الله ﷺ وفي عنقه صليب من فضة، والرسول يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة :٣١] قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم فقال: بلي «**إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام**

(١) انظر الرازي (١٥/ ٣٣) والقرطبي (٨/ ١١٧، ١١٨).

(٢) القرطبي (٨/ ١١٨).

(٣) انظر المؤلف الضخم: تأثر اليهودية بالأديان القديمة وهو أطروحة الدكتوراه التي قدمها الزميل الدكتور فتحي محمد الزغبي لكلية أصول الدين سنة ١٩٨٧م.

فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم»[1].

وإن نصوص التلمود لتصرح بذلك بل إن اليهود إذا خيروا بين أوامر الله، وأوامر أربابهم من الحاخامات أخذوا برأي الأحبار، وقد ورد في الكنز المرصود **«إن الحاخامات لا يمكن نفي أقوالها ولا تغييرها ولو بأمر الله، وقد وقع يومًا الاختلاف بين الباري تعالى وبين علماء اليهود في مسألة فبعد أن طال الجدال تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الرابيين واضطر الله تعالى أن يعترف بغلطه بعد حكم الحاخام المذكور**[2] تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

الرد على تلك الشبهة:

لا جدال في أن اليهود أكثر كفرًا وأشد شركًا من المشركين، لأن مشركي العرب كانت نظرتهم ساذجة إلى الأصنام وكانوا يتبعون الظن وتصدر أقوالهم عن جهل. أما اليهود فإنهم مارسوا الشرك عن علم وكفروا بعد أن أعرضوا عن الحق.

ومرد ذلك فيما أتصور أن اليهود نظروا إلى أنفسهم نظرة خاصة فقد حسبوا أنفسهم أبناء الله وأحباءه وقد أساغوا لأنفسهم أن يفعلوا ما يشاءون من افتراء على الله وقتل لأنبيائه وتكذيب لآياته، واعتقدوا أنهم ناجون وإذا ما عوقبوا فلن تمسهم النار إلا أيامًا معدودة، وقد كذبهم القرآن الكريم في كل ادعاء لهم يهدف إلى تميزهم عن خلق الله.

ولقد اتخذ اليهود أحبارهم أربابًا من دون الله يحلون ويحرمون عليهم.

يقول ابن تيمية: **«قال الربيع بن أنس: قلت لأبي العالية كيف كانت الربوبية في**

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٨).

(٢) الكنز المرصود ص (٤٧) وانظر (٤٥ ـ ٥٠) نقلاً عن موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والمسيحية ص (٢٦٧) وقد أورد الشيخ حسن خالد مفتي لبنان – عليه رحمة الله – كثيرًا من النصوص التي تبين سلطة الحاخامات وطاعة اليهود لهم.

بني إسرائيل ؟ قال: كانت الربوبية أنهم وجدوا في كتاب الله ما أمروا به ونهوا عنه فقالوا: لن نسبق أحبارنا بشيء فما أمروا به ائتمرنا، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم فاستنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فعبدوا الرجال بطاعتهم في التحليل والتحريم، لا إنهم صلوا وصاموا لهم»[١].

ولذلك قال تعالى تكذيبًا لهم ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة :٣١] .

يقول الزمخشري: «سبحانه تنزيه له عن الإشراك واستبعاد له، ويجوز أن يكون الضمير في ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ [التوبة :٣١] للمتخذين أربابًا. أي وما أمر هؤلاء الذين هم عندهم أرباب إلا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح أن يكونوا أربابًا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم؟»[٢].

ويجب أن نؤكد أن الحكم على اليهود بالكفر لاتخاذ الأرباب ليس لأنهم وصفوهم بالألوهية فحسب ولكن لأنهم أطاعوهم فيما حرم الله وانتهوا عما أحل الله بسبب نهيهم ومن ثم كثرت الإشارة في القرآن الكريم إلى أن الطاعة يجب أن تكون لله وحده فيما أحل أو حرم، وأن العبادة يجب أن يتوجه بها إلى الله.. يقول تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف :٤٠] .

ويقول سبحانه مستنكرًا على من يأمر بغير أمر الله في التحليل والتحريم ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى :٢١].

ولقد حكم الله على اليهود بالشرك والكفر لأنهم أطاعوا أحبارهم وحاخاماتهم في غير ما أحل الله وجعلوا لهم سلطة فوق حكم الله وأمره ونهيه بل وتغالوا فجعلوا الله تابعًا لهم ـ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

---

(١) الإيمان لابن تيمية ص (٩٨).

(٢) الكشاف (٢/ ١٨٦).

يقول الأستاذ/ سيد قطب: «إن الشرك بالله يتحقق بمجرد إعطاء حق التشريع لغير الله من عباده ولو لم يصحبه شرك في الاعتقاد بألوهيته ولا تقديم الشعائر التعبدية له فاليهود أشركوا بالله وخالفوا أمره لأنهم أمروا أن يعبدوا إلهًا واحدًا ولكنهم اتخذوا أحبارهم أربابًا من دون الله»(١).

وصف اليهود الله بما لا يليق به من الصفات:

نظرًا لطبيعة اليهود المادية الغليظة فإنهم وصفوا الله بأوصاف لا تليق به سبحانه وتعالى، والعهد القديم الذى بأيدي اليهود مليء بتلك الأوصاف التي لا تليق بذاته المنزهة، فهو يأكل ويشرب(٢)، ويعمل ويتعب ويستريح(٣) وينسى ويندم ويتردد وتنطلي عليه الحيل(٤)، وإنه متردد(٥)، كل هذه الصفات وردت في أسفار العهد القديم.

وهذه الأوصاف كلها نفاها الله رب العالمين عن نفسه، فهو لا ينسى ولا يخطئ.. يقول تعالى: ﴿فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه :٥٢] . وهو لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يتعب ولا يستريح، وجماع ذلك كله في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة :٢٥٥]

فهو القيوم الدائم القيام لتدبير الخلق وحفظه لا تأخذه سنة ولا نوم وهو تأكيد للقيوم لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيومًا(٦). والتعبير بلا تأخذه دون لا تعرض له ولا تطرأ عليه مراعاة للواقع في الوجود، فإن السنة

(١) في ظلال القرآن (٣/ ١٦٤٣) وانظر المعالجة القيمة لهذه الآيات من ص (١٦٢٠ - ١٦٥٠) ج٣ طبعة دار الشروق.
(٢) سفر التكوين ١٧: ١- ٣، ٨: ١- ٢.
(٣) سفر الخروج ٢٠: ٨ - ١١، سفر التثنية ٥: ١٢ - ١٥، والتكوين ٢: ١ - ٢.
(٤) التكوين الإصحاح: ٢٧.
(٥) سفر التكوين الإصحاح: ٨.
(٦) الكشاف (١/ ٣٨٤).

والنوم يأخذان الحيوان عن نفسه أخذًا ويستوليان عليه استيلاء[١].

يذكر ابن رشد في مناهج الأدلة أن الدليل على نفي النقائص عن الله تعالى ما ظهر من أن الموجودات محفوظة لا يتخللها اختلال ولا فساد، ولو كان الخالق تدركه غفلة أو خطأ أو نسيان أو سهو لاختلت الموجودات، وقد نبه الله تعالى في غير آية من كتابه فقال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [فاطر :٤١]. قال تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة :٢٥٥][٢].

وسوف نعرض ثلاث شبه مما وصف بها اليهود الله رب العالمين، ونرد عليها، وهذه الشبهة على سبيل المثال لا الحصر تتمثل في الآتي:

أولًا: زعمهم أن الله يأكل ويشرب ويمشي ويصارع ـ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

ثانيًا: زعمهم بأن الله استراح في اليوم السابع. يوم السبت.

ثالثًا: وصفهم الله بأنه فقير وأن يده مغلولة ـ تعالى الله عن ذلك سبحانه وتعالى.

شبهة ادعائهم أن الله يأكل ويشرب:

لقد ورد في سفر التكوين ظهور الله لنبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأكله وشربه هو والملائكة ـ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

ورد في سفر التكوين ما نصه: «**وظهر له الرب بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة فآخذ**

(١) المنار (٣/ ٢٥).
(٢) انظر مناهج الأدلة لابن رشد ص (١٦٩، ١٧٠).

كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون لأني قد مررت على عبدكم فقالوا هكذا تفعل كما تكلمت وأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال أسرعي بثلاث كيلات دقيقًا سميذًا اعجني واصنعي خبز ملة ثم ركض إبراهيم وأتى البقر وأخذ عجلًا رخصًا وجيدًا وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله ثم أخذ زبدًا ولبنًا والعجل الذى عمله ووضعها قدامهم وإذا كان هو واقفًا لديهم تحت الشجرة أكلوا»[١].

وهذا الحديث يتحدث بمنتهي الصراحة أن الرب ظهر لإبراهيم عليه الصلاة والسلام مع اثنين من الملائكة وأنهم غسلوا أرجلهم واتكئوا تحت ظل شجرة ليستريحوا، وأنهم أكلوا خبزًا ولبنًا وشواء ـ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

الرد على هذه الشبهة:

أولًا: أن هذه الرواية محرفة لأنه من المستحيل أن تكون التوراة التي نزلت على سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام فيها مثل هذا الافتراء على الله وعلى الملائكة والمؤكد أنها ليس فيها هذا السخف وهذا الافتراء مصدره البشر الذين يحرفون الكلم عن مواضعه.

ثانيا: أن القرآن الكريم ذكر قصة مجيء الملائكة لسيدنا إبراهيم وليس فيها أنهم أكلوا أو شربوا وليس فيها ظهور الرب كما في سفر التكوين.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود:٦٩-٧٠] .

ويقول تعالى في سورة الذاريات ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ

---

(١) سفر التكوين ١٨: ١ ـ ٨.

بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات :٢٤-٢٩] .

يذكر الرازي أن الأضياف امتنعوا عن الطعام والشراب لأنهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون وإنما أتوه في صورة الأضياف ليكونوا على صفة يحبها وهو كان مشغوفًا بالضيافة[١].

أما لماذا خاف منهم؟ فإن الرازي يورد سبب الخوف على احتمال أنه يعرف أنهم ملائكة وعلى احتمال أنه كان لا يعرف أنهم ملائكة يقول «وأما إبراهيم عليه الصلاة والسلام فنقول:

إما أن يقال: إنه عليه الصلاة والسلام كان يعلم أنهم ملائكة وسبب خوفه منهم أمران: أحدهما أنه خاف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله تعالى عليه. والثاني: أنه خاف أن يكون نزولهم تعذيبًا لقومه.

وإما أن يقال: إنه كان لا يعرف أنهم ملائكة وسبب خوفه أمران أيضًا: الأول: أنه كان ينزل في طرف من الأرض بعيدة عن الناس فلما امتنعوا عن الأكل خاف أن يريدوا به مكروهًا.

الثاني: أن من لا يُعرف إذا حضر وقدم إليه طعام فإن أكل حصل الأمن وإن لم يأكل حصل الخوف»[٢].

وعلى كلا الاحتمالين فإنهم لم يأكلوا كما صورهم سفر التكوين.

ثالثًا: لقد تناول هذه الرواية وأبطل ما فيها كثير من العلماء منهم على سبيل المثال الإمام «ابن حزم» في الفصل، و«القرافي» في الأجوبة الفاخرة.

يقول ابن حزم في هذا الفصل آيات من البلاء شنيعة نعوذ بالله من قليل الضلال وكثيره.

---

(١) التفسير الكبير للرازي (١٨/ ٢٤).
(٢) التفسير الكبير للرازي (١٨/ ٢٤، ٢٥).

فأول ذلك إخباره أن الله تعالى تجلى لإبراهيم وأنه رأى الثلاثة نفر فأسرع إليهم وسجد وخاطبهم بالعبودية فإن كان أولئك الثلاثة هم الله فهذا هو التثليث بعينه.

وإن كان أولئك الثلاثة ملائكة ففي هذه الرواية فضائح عظيمة وكذب فاضح من وجوه:

أولها: من المحال أن يخبر الله تعالى بأنه تجلى لإبراهيم وإنما الذى تجلى هم الملائكة.

ثانيها: أن يخاطب الثلاثة بخطاب واحد وهذا محال في الخطاب.

ثالثها: سجود سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام للملائكة باطل إذ محال أن يسجد رسول الله وخليله لأحد غير الله تعالى.

رابعها: خطاب إبراهيم عليه الصلاة والسلام لهم بأنه عبدهم فإن كان المخاطب بذلك هو الله تعالى وهو المتجلي له فقد عادت البلية» وإن كان المخاطبون بذلك الملائكة فحاشا لله أن يخاطب إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالعبودية غير الله تعالى.

خامسها: أن خطاب إبراهيم فيما يتعلق بالأكل والشرب وغسل الأرجل إما أن يكون متوجهًا به لله تعالى فهذا افتراء على الله وفرية لا سوى لها ولا بقية بعدها. وإن كان الخطاب للملائكة فهذا أكذب لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لا يجهل أن الملائكة لا تشتد قلوبهم بأكل كسر الخبز[(١)].

ثم يقول معلقًا على ما مر: **«فهذه كذبة باردة سمجة فإن قالوا ظنهم ناسًا قلنا هذا أكذب لأنه في أول النص يخبر أن الله تعالى تجلى له، وكيف يسجد إبراهيم ويتعبد لخاطر طريق»**[(٢)].

---

(١) الفصل في الملل والنحل (١/ ١٠٣، ١٠٤) بتصرف.
(٢) نفسه (١/ ١٠٤) بتصرف.

ويفند «القرافي» ما ورد عن أكل الملائكة خبزًا وسمنًا وشواء فيقول: «**وهذا جهل عظيم ونقل كاذب قطعًا فإن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون بل أجسام روحانية غذاؤهم روحاني ولا يعرفه اليهود ثم العجب أنهم نسوا أنهم يقولون: إن الناس في الجنة لا يأكلون ولا يشربون مثل الملائكة فشبهوهم بالملائكة في عدم الأكل والشرب ثم لم يلبثوا أن قضوا على الملائكة بالأكل والشرب وهو تهافت عظيم، وبهذا ونحوه يعلم أنه ليس في أيديهم من كتبهم إلا الرسوم**»(١).

وبالرغم من هذا الكذب الواضح على الله وعلى الملائكة فإننا نجد البعض يدافع عن اليهود، وما ورد في أسفارهم من التجسيم والتشبيه مستدلاً على ما ذهب إليه بأقوال بعض اليهود كابن كمونة اليهودي(٢).

زعمهم أن الله استراح في اليوم السابع:

افترى اليهود كذبًا وزورًا على الخالق سبحانه وتعالى فادعوا أن الله تعب بعد الخلق فاستراح في اليوم السابع من جميع أعماله، ورد في سفر التكوين ما نصه: «**فأكملت السموات والأرض وكل جندها، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذى عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقًا**»(٣).

وقد فهم أحبار اليهود أن الله لما انتهى من خلق السموات والأرض في ستة أيام استراح في اليوم السابع لأنه قد لحقه التعب وتأكد ذلك حسب زعمهم أن الله فرض عليهم الراحة في يوم السبت.

وسوف نبين وجه الحق في هذه الافتراءات.

(١) الأجوبة الفاخرة للقرافي ص (٢١٥) بهامش الفاروق.

(٢) انظر: الله وصفاته بين اليهودية والمسيحية والإسلام، الدكتور أحمد حجازي السقا ص (٣٨ - ٤١)، وينبغي أن نلاحظ أن علماء اليهود تأثروا بالمسلمين في القول بالوحدانية وتنزيه الله عن الجسم والمكان.

(٣) سفر التكوين ٢: ١ - ٢.

الرد على شبهة استراحة الله في يوم السبت:

إن هذه الفرية لا تثبت أمام النقل أو العقل وسوف نناقش هذا الزعم من جميع الوجوه لنثبت بطلانه.

أولًا: يقرر القرآن الكريم أن خلق الله وفعله لشيء ليس كفعل البشر، لأن خلق الله إنما يتم بالأمر التكويني كن فيكون.. يقول تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران :٤٧] . ويقول سبحانه ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس :٨٢] .

يقول الزمخشري: «**والمعنى أنه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الأجسام إذا فعلت شيئًا مما تقدر عليه من المباشرة بمحل القدرة واستعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب إنما أمره وهو القادر والعالم لذاته أن يخلص داعية إلى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز من مقدور حتى يعجز عن الإعادة**»(١) .

ثانيًا: أن الله جل وعلا علم أن اليهود يعتقدون هذا الاعتقاد الفاسد وأنهم سيذكرونه للرسول ﷺ فنفاه نفيًا تامًا في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾ [ق :٣٨] .

وقد نزلت هذه الآية فيما أورده السيوطي حين أتى اليهود يسألون النبي ﷺ عن خلق السموات والأرض فأخبرهم فقالوا: له أصبت لو أتممت قالوا ثم استراح فغضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا فنزل ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [ق :٣٨-٣٩](٢).

ويذكر الرازي أن ما قاله اليهود ونقلوه من التوراة عن خلق الله السموات والأرض ثم استراحته يحتمل أمرين: الأول: التحريف. الثاني: عدم معرفتهم

---

(١) الكشاف (٣/ ٣٣٢).

(٢) انظر لباب النقول في أسباب النزول ص (٤٧٨) بهامش تفسير الجلالين.

تأويله، وذلك لأن الأحد والاثنين أزمنة «يتميز بعضها عن بعض فلو كان خلق السموات والأرض ابتدئ يوم الأحد لكان الزمان متحققًا قبل الأجسام، والزمان لا ينفك عن الأجسام فيكون قبل خلق الأجسام أجسام أخر فيلزم القول بقدم العالم وهو مذهب الفلاسفة[١].

ثم يتعجب الرازي من اليهود لأنهم يجمعون بين ما يقول به الفلاسفة من قدم العالم وبين المشبهة الذين يثبتون لله الحركة والسكون.. يقول:

«ومن العجيب أن بين الفلاسفة والمشبهة غاية الخلاف فإن الفلسفي لا يثبت لله تعالى صفة أصلًا ويقول بأن الله تعالى لا يقبل صفة بل هو واحد من جميع الوجوه فعلمه وقدرته وحياته هو حقيقته وعينه وذاته والمشبهي يثبت لله صفة الأجسام من الحركة والسكون والاستواء والجلوس والصعود والنزول فبينهما منافاة. ثم إن اليهود في هذا الكلام جمعوا بين المسألتين فقالوا بمذهب الفلاسفة التي هي أخص المسائل بهم وهي القدم حيث أثبتوا قبل خلق الأجسام أيامًا معدودة، وأزمنة محدودة وأخذوا مذهب المشبهة في المسألة التي هي أخص المسائل بهم وهي الاستواء على العرش فأخطئوا وضلوا وأضلوا في الزمان والمكان جميعًا»[٢].

وكلام الرازي مفحم لليهود في هذه المسألة إذ إنهم جمعوا بين المتناقضات في قولهم بأن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع.

ثالثًا: إن نصوص العهد القديم تختلف في الحكمة من الراحة في يوم السبت فبينما يحدد سفر الخروج أن الرب استراح في اليوم السابع لا يذكر ذلك سفر التثنية وإنما يذكر أن يوم السبت عبادة للرب ولا يجوز العمل فيه، وهذا الاختلاف أخذ منه الباحثون أن الاستراحة هذه من التحريفات التي أدخلها اليهود على التوراة.

(١) التفسير الكبير للرازي (٢٨/ ١٨٤).
(٢) نفسه بتصرف (٢٨/ ١٨٤).

(أ) ورد في سفر الخروج ما نصه: «لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه»(١).

ففي هذا النص يصرح بأن الرب استراح بعد أن خلق السموات والأرض.

(ب) وفي سفر التثنية ورد ما نصه: «احفظ يوم السبت لقدسه كما أوصاك الرب إلهك ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك لا تعمل فيه عملًا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونزيلك الذى في أبوابك لكي يستريح عبدك وأمتك مثلك»(٢).

ونظرًا للاختلاف بين النصين في ذكر استراحة الرب في سفر الخروج وعدم ذكرها في سفر التثنية فإن «موريس بوكاي» يذهب إلى أن هذه الراحة التي يفترض أن الله قد أخذها بعد أن عمل ستة أيام هي أسطورة ولكن لها تعليل «إذ لا يجب نسيان أن رواية الخلق المدروسة هنا تأتي من النص الذى يسمى بالكهنوتي كتبه الكهنة والكتبة، وهم الوريثون الروحيون لحزقيال نبي النفي ببابل في القرن السادس قبل الميلاد، ومعروف أن هؤلاء الكهنة قد أعادوا روايتي الخلق اليهودية حسب اهتماماتهم الخاصة»(٣).

ومعنى هذا الكلام أن هناك تأثرًا من الأمم الوثنية هو الذى جعل كاتب النص يزعم أن الرب استراح في اليوم السابع. متأثرًا بالأساطير الوثنية وهذا ما انتهى إليه الدكتور «فتحي الزغبي» إذ يقول: «إن زعم كاتب الرواية الأولى بأن الرب قد استراح لا يتفق مع تنزيه الله جل وعلا وبذلك فإن من المقطوع به أن هذه مما تأثر به اليهود من الديانات القديمة من منطلق التصورات الوثنية للإله حيث يرونه يأكل ويشرب ويستريح ويتعب ولم يكن هذا بعيدًا عن متناول الكاتب الكهنوتي وذلك لأن التراث

---

(١) سفر الخروج ٢٠: ١١ - ١٢.

(٢) تثنية ٥: ١٣ - ١٥.

(٣) دراسة الأسفار المقدسة ص (٤٤) بتصرف.

البابلي كان منشورًا أمامه يأخذ منه ما يروقه وما يتفق مع ميوله الوثنية»[١].

ويبدو أن هذا هو التفسير المقبول الذى يفسر لنا اشتمال العهد القديم على مثل هذه الافتراءات بالنسبة لله رب العالمين ـ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

رابعًا: أن التفسير القرآني للراحة يوم السبت يتمثل في ابتلاء الله لليهود على سبيل العقوبة والاختبار ذلك بأنهم أمروا أن يطيعوا الله فيه ويعظمونه.. يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة :٦٥] .

يقول الزمخشري: **«إن ناسًا من اليهود اعتدوا فيه أي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد والتعظيم واشتغلوا بالصيد وذلك أن الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر إلا أخرج خرطومه يوم السبت فإذا مضى تفرقت»**[٢].

وعلى هذا فتعطيل يوم السبت ليس لأن الله استراح فيه ولكن من أجل العبادة ولكن اليهود لم يحفظوه.

زعمهم بأن الله فقير ويده مغلولة ـ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا:

أما قولهم بأن الله فقير فقد صور القرآن الكريم مقالتهم في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران :١٨١] .

يذكر السيوطي عن ابن عباس قال: دخل أبو بكر بيت المدارس فوجد يهودًا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص فقال له: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر وإنه إلينا لفقير، ولو كان غنيًا عنا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم. فغضب أبو بكر فضرب وجهه فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد انظر ما صنع صاحبك بي فقال يا أبا بكر: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رسول الله قال قولاً عظيمًا يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء

---

(١) اليهودية وتأثرها بالأديان القديمة ص (٥٤٢) بتصرف يسير.
(٢) الكشاف (١/ ٢٨٦) بتصرف.

فجحد فنحاص فأنزل الله ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران :١٨١][١].

الرد على هذه الشبهة:

لقد كذب الله رب العالمين اليهود في قولهم وتوعدهم بالعذاب الأليم يوم القيامة على كفرهم.. يقول تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آل عمران :١٨١-١٨٢] .

إن اليهود كفروا بهذا القول على الرغم من أنهم لم يقولوه عقيدة وإنما تمويهًا على ضعفائهم كما ذهب القرطبي[٢]، والمعنى سنكتب ما قالوا على جهة الوعيد، أي لن يفوتنا أبدًا إثباته وتدوينه كما لم يفوتنا قتلهم الأنبياء وجعل قتلهم الأنبياء قرينة له إيذانًا بأنهما في العظم إخوان، وبأن هذا ليس أول ما ارتكبوه من جرائم عظيمة وأنهم أصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق[٣].

يقول الرازي: «**الفائدة في ضم قتل الأنبياء مع قولهم إن الله فقير هي بيان أن جهل هؤلاء ليس مخصوصًا بهذا الموقف، بل هم منذ كانوا مصرين على الجهالات والحماقات، ووجه آخر: سنكتب على هؤلاء ما قالوا بأنفسهم ونكتب عليهم رضاهم بقتل آبائهم**»[٤].

وبعد أن يكذبهم الله ويتوعدهم على قولهم، تتوجه مجموعة من الآيات القرآنية يقرر فيها الله جل وعلا أنه له ملك السموات والأرض وأنه غني عن العالمين وأن البشر جميعًا فقراء إليه.

يقول الله جل وعلا: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول ص (٩٩).
(٢) القرطبي (٤/ ٢٩٤).
(٣) الكشاف للزمخشري (١/ ٤٨٤).
(٤) التفسير الكبير (٩/ ١١٨، ١١٩).

ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران :٢٦] .

ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر :١٥] .

ويقول سبحانه ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد :١٠] .

زعمهم أن يد الله مغلولة:

وقد صور القرآن الكريم قولهم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة :٦٤] .

ويروي السيوطي في سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس قال: «قال رجل من اليهود يقال له النباش بن قيس: إن ربك بخيل لا ينفق فأنزل الله ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة :٦٤] »[١] .

الرد على شبهتهم:

لقد كذبهم الله وبين أن يديه مبسوطتان ينفق كيف يشاء، ويقول تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة :٦٤] .

يقول الرازي: غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا فيه وجهان:

الأول: أنه دعاء عليهم، والمعني أنه تعالى يعلمنا أن ندعو عليهم بهذا الدعاء كما علمنا الاستثناء في قوله ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح :٢٧] وكما علمنا الدعاء على المنافقين في قوله ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة :١٠] وعلى أبي لهب في قوله ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد :١] .

---

(١) انظر لباب النقول ص (١٣٩) بهامش الجلالين.

الثاني: أنه إخبار. قال الحسن: غلت أيديهم في نار جهنم على الحقيقة أي شدت إلى أعناقهم جزاءً لهم على هذا القول[(١)].

ويميل «الزمخشري» إلى أن هذا الدعاء خاص بالدنيا فيذكر أن الله بعد أن كذبهم ولعنهم صاروا أبخل الناس وأنكد خلق الله[(٢)] وهذا في الدنيا والآخرة.

وبعد أن لعنهم وكذبهم أنزل بهم أنواعًا من المحن بسبب كفرهم، وقولهم ما لا ينبغي قوله على الله من هذه المحن ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة :٦٤] أي أنهم يزدادون كفرًا وإنكارًا كلما نزلت آيات على الرسول ﷺ أي إن إقامتهم على الكفر زيادة منهم في الكفر.

ومنها: »(﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [المائدة :٦٤] فكلامهم أبدًا مختلف، وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد، لأنهم لما رجحوا الدنيا على الآخرة حرمهم الله من سعادتها فكل فريق منهم يصر على مذهبه ويبالغ في نصرته، ويطعن في كل ما سواه فصار ذلك سببًا لوقوع الخصومة الشديدة بين طوائفهم وفرقهم حتى أنهم يكفرون بعضهم»[(٣)].

ومنها: أنهم ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة :٦٤] أي أنهم كلما هموا بأمر من الأمور رجعوا خائبين خاسرين مقهورين ملعونين... يقول قتادة: **«لا تلقى اليهود ببلدة إلا وجدتهم من أذل الناس وكلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على أحد»**[(٤)].

---

(١) التفسير الكبير للرازي (١٢/ ٤١، ٤٢).

(٢) الكشاف (١/ ٦٢٧، ٦٢٨).

(٣) انظر الكشاف (١/ ٦٢٩)، والتفسير الكبير (١٢/ ٤٥).

(٤) الرازي (١٢/ ٤٥)، والكشاف (١/ ٦٢٩)، والتاريخ شاهد على ما قاله القرآن الكريم ولا يقولن أحد: إن اليهود قد طردوا المسلمين وانتصروا عليهم، لأن هؤلاء العرب والمسلمين لا يلتزمون بالإسلام في حربهم لليهود ويوم أن يلتزم المسلمون بتعاليم الإسلام سينهزم اليهود كما أخبر الله عز وجل﴿وَإِنَّ

ومنها: «(أنهم ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة :٣٣] وذلك بأن يخدعوا ضعيفًا ويستخرجوا نوعًا من المكر والكيد على سبيل الخفية»[(١)].

* * *

جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[الصافات: ١٧٣] .

(١) التفسير الكبير للرازي (١٢/ ٤٥).

الفصل الثاني
الأنبياء عند بني إسرائيل

الأنبياء عند بني إسرائيل

الأنبياء هم صفوة البشر الذين اصطفاهم الله ليبلغوا رسالاته إلى البشر وهم في أعلى مراتب الأخلاق قبل البعثة وبعدها، وقد عصمهم الله من الكبائر وبما يقبحهم من الصفات الذميمة.

ومع ذلك التميز الفريد، فإنهم يأكلون ويشربون ويتزوجون ويتناسلون ويمشون في الأسواق وهذه الأشياء هي الدليل على صدقهم فهم كسائر البشر ولكنهم متميزون عن البشر بالوحي.

والقرآن الكريم قد ذكر أن اختيار هؤلاء الأنبياء يتم بالاصطفاء والاجتباء، يقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج :٧٥]، واليهود كانوا من أكثر الشعوب الذين أرسل الله إليهم رسلاً، وهم يفتخرون بهذا ويعدونه دليلاً على تفضيل الله لهم بدليل كثرة الأنبياء إليهم.

ولكن نحن كمسلمين نعتبر أن ذلك من الأدلة التي تؤكد خبث طويتهم وسوء طباعهم فهم لا يكفيهم نبي واحد ولكن تتابع عليهم الأنبياء لغلظة قلوبهم وفساد أخلاقهم وهم على كثرة تتابع الأنبياء عليهم يشبهون إلى حد كبير المريض صاحب الداء الخبيث الذى لا يكفيه طبيب واحد ولكن لخبث مرضه يتوارد عليه أطباء كثيرون. أما لو كان مرضه عاديًا فيكفيه طبيب واحد يشخص الداء ويحدد العلاج.

يقول تعالى مصورًا حالة اليهود وسلوكهم مع أنبيائهم: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة :٧٠] .

مع التكذيب والقتل كان الافتراء والاتهام لأنبيائهم بكل كبيرة يعف اللسان عن ذكرها فضلاً عن ارتكابها. ولكن اليهود هم اليهود بتمردهم وغلظتهم. يستبيحون لأنفسهم أن يفعلوا وأن يقولوا أي شيء حتى ولو كان عن الله وعن

أنبيائه الكرام.

سوف نعرض نماذج من العهد القديم تصور الأنبياء بصورة منفرةٍ لا يمكن أن تقع من الصالحين، فضلاً عن الأنبياء والمرسلين.

أولاً: نوح عليه الصلاة والسلام:

يصور سفر التكوين سيدنا نوحًا عليه الصلاة والسلام في صورة السكير الذى يشرب الخمر ويصدر عنه ما يصدر عن المخمورين.

ورد في سفر التكوين ما نصه:

«وابتدأ نوح يكون فلاحًا وغرس كرمًا، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجًا فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لإخوته وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبدًا لهم ليفتح الله ليافث ليسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبدًا لهم»[1].

والنص يبرز عدة أمور:

١- أن نوحًا عليه الصلاة والسلام سكر وتعرى.

٢- أنه غضب على ابنه الذى رآه وأخبر أخويه، ولعنه وجعله عبدًا لهما.

٣- أنه سر من فعل أبنائه يافث، وسام، ودعا لهما بالبركة.

هذا مفاد النص في التوراة المحرفة.

فلنقرأ عن سيدنا نوح في القرآن الكريم:

بعد حادثة الطوفان ينادي الله نوحًا بقوله تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود :٤٨] .

(١) سفر التكوين (٩/ ٢٠، ٢٧).

إنه مبارك من الله فهل يتصور أن تتخلي عنه عناية الله ويتركه للخمر والسكر والعري!! معاذ الله أن يقع نوح في ذلك.

وفي سورة الإسراء ورد قوله تعالى عن سيدنا نوح ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء :٣] فهل العبودية تقتضي أن يشرب الخمر وأن يتعري، ولكن هذا ديدن اليهود دائمًا.

ثانيًا: سيدنا لوط عليه الصلاة والسلام:

يعرض سفر التكوين سيدنا لوطًا عليه الصلاة والسلام في صورة الزاني بمن! بابنتيه، أي بمحارمه.. يا للهول!! لوط الذى كان يأخذ على قومه فعل الفاحشة وينذرهم بعقاب الله وكانت جريمته ومن معه من المؤمنين أنهم أناس يتطهرون، لوط يقع في الفاحشة.. نعم يؤكد ذلك سفر التكوين فيما يرويه عن لوط عليه الصلاة والسلام.

ورد في سفر التكوين:

«وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض هلم نسقي أبانا خمرًا ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلًا فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي فاسقيه خمرًا الليلة وادخلي واضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلًا فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة أيضًا، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابنًا ودعت اسمه موآب، وهو أبو المؤابيين إلى اليوم والصغيرة أيضًا ولدت ابنًا ودعت اسمه بن عمي وهو أبو بني عمون إلى اليوم»[1].

(١) سفر التكوين ١٩: ٣٠ - ٣٧.

بهذه الأوصاف وصف لوط عليه الصلاة والسلام بالزنا مع ابنتيه في العهد القديم فلنقرأ ما ذكره القرآن عن لوط:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٥٤ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝٥٥ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٥٦ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [النمل :٥٤-٥٧] .

إن الغاية التي أرسل الله لوطًا من أجلها هي نهي قومه عن الفاحشة، فكيف يقع فيها؟ ومع من! مع محارمه، وإذا كان سفر التكوين يصف نوحًا عليه الصلاة والسلام بالسكر والعري والحيف والجور بين أبنائه..فإن سفر التكوين يعرض ما تقشعر منه الأبدان من شرب للخمر وزنا من نبي مصطفى عند الله وهو لوط الذى نجاه الله من العذاب في الدنيا لنبوته وطهارته من الفاحشة.

ثالثًا: داود عليه الصلاة والسلام:

يصور العهد القديم داود عليه الصلاة والسلام بصورة منفرة، فهو يزني ويقتل ويفعل كل ذلك من أجل شهواته.

ورد في صموئيل الثاني ما نصه:

«وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جدًا فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بشسبع بنت إليعام امرأة أوريا الحثي فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حبلى فأرسل داود إلى يوآب يقول أرسل إلى أوريا الحثي، فأرسل يوآب أوريا إلى داود فأتى أوريا إليه فسأله داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح

الحرب وقال داود لأوريا انزل إلى بيتك واغسل رجليك فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصة من عند الملك ونام أوريا على باب بيت الملك مع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته فأخبروا داود قائلين لم ينزل أوريا إلى بيته فقال داود لأوريا أما جئت من السفر فلماذا لم تنزل إلى بيتك فقال أوريا لداود إبن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدى يوآب وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر. فقال داود لأوريا أقم هنا اليوم أيضًا وغدًا أطلقك، فأقام في أورشليم ذلك اليوم وغده، ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده وإلى بيته لم ينزل.

وفي الصباح كتب داود مكتوبًا إلى يوآب وأرسله بيد أوريا، وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت، وكان في محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال البأس فيه. فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعوب من عبيد داود ومات أوريا الحثي أيضًا. فأرسل يوآب وأخبر داود جميع أمور الحرب وأوصى الرسول قائلاً عندما تفرغ من الكلام مع الملك عن جميع أمور الحرب، فإن اشتعل غضب الملك وقال لك لماذا دنوتم من المدينة للقتال، أما علمتم أنهم يرمون من على السور. من قتل أبيمالك بن يربوشث، ألم ترمه امرأة بقطعة رحي من على السور فمات في تاباص، لماذا دنوتم من السور. فقل قد مات عبدك أوريا الحثي أيضًا.

فذهب الرسول ودخل وأخبر داود بكل ما أرسله فيه يوآب. وقال الرسول لداود تجبر علينا القوم وخرجوا إلينا إلى الحقل فكنا عليهم إلى مدخل الباب. فرمي الرماة عبيدك من على السور فمات البعض من عبيد الملك ومات عبدك أوريا الحثي أيضًا. فقال داود للرسول هكذا تقول ليوآب لا يسوء في عينيك

هذا الأمر لأن السيف يأكل هذا وذاك، شدد قتالك على المدينة وأخربها وشدده فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنًا، وأما الأمر الذى فعله داود فقبح في عيني الرب(١).

هكذا صور هذا السفر داود عليه الصلاة والسلام بهذه الصورة التي لا تصدر عن كبار الأفاكين. فضلاً عن نبي أواب غفر الله له وسخر له الإنس والجن والطير. إن داود في القرآن الكريم نبي صالح أواب كثير التسبيح والتحميد دائم الشكر والثناء على الله.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ :١٠] . ويقول سبحانه ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص :١٧-٢٠] .

ومن عجيب الأمر أن علماء النصارى يؤيدون تلك النصوص التي تصف الأنبياء بما لا يليق بهم، ويدافعون عن صحة نصوص العهد القديم التي تتحدث عن هذه الجرائم من الأنبياء.

يقول صاحب مصادر الكتاب المقدس: «**إن الكمال لله وحده وإن الجميع زاغوا وفسدوا لأننا نعرف أنهم جميعًا بشر متناسلون من آدم الساقط ووارثون منه الطبيعة الفاسدة التي تميل إلى الشر**»(٢).

ونلاحظ أنه يقول ذلك الكلام ليخلص إلى أن الجميع أخطأ وورث الخطيئة عن آدم إلى أن جاء المسيح فحمل هذه الخطيئة عن البشر جميعهم قبح الله صاحب هذا الرأي ـ يصف الأولين والآخرين بالخطيئة والزيغ والفساد، لاعتقاده الفاسد أن المسيح تحمل خطايا البشر بصلبه وقتله.. ولو

(١) انظر صموئيل الثاني ١١: ٣ ـ ٢٦.
(٢) مصادر الكتاب المقدس ص (١١٩).

كان المسيح عليه الصلاة والسلام حيًا وسمع هذا الكلام لحكم على هذا القس باللعنة، لأن المسيح يعلم مقدار إخوانه من الأنبياء ويعلم أنهم منزهون عن هذه الكبائر وغيرها.

وقد اكتفيت بذكر بعض الأنبياء وإلا فإن اليهود لم يبرءوا نبيًا من أنبيائهم فقد افتروا على إبراهيم وموسى ويوشع ويعقوب وأيوب وغيرهم كثير.

النسخ عند اليهود

كما رأينا لقد افترى اليهود علي أنبيائهم ووصفوهم بكل الصفات المنفرة، فلما جاء الرسول ﷺ رفضوا رسالته وادعوا أن شريعة موسى عليه الصلاة والسلام لم تنسخ وسوف نناقشهم في ذلك على الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى.

ادعاء اليهود أن التوراة لم تنسخ بالقرآن الكريم:

زعم اليهود أن شريعة موسى هي أول شريعة لم يتقدم مثلها لأحد ولا يكون غيرها أبدًا[1] وأخذوا من ذلك مسوغًا لعدم الإيمان بمحمد ﷺ.

يصور القرآن الكريم موقفهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة :٩١] .

يقول ابن ميمون: «**إن دعوة سيدنا موسى لنا لم تتقدم مثلها لأحد ممن علمناه من آدم إليه ولا تأخرت بعده دعوة مثلها لأحد من أنبيائنا، وكذلك قاعدة شريعتنا أن لا يكون غيرها أبدًا، فلذلك بحسب رأينا لم تكن ثم شريعة ولا تكون غير شريعة واحدة هي شريعة سيدنا موسى**»[2].

وأما عن الأنبياء بعد موسى عليه الصلاة والسلام فإن ابن ميمون يقرر أنهم

(١) دلالة الحائرين ص (٤١١، ٤١٢) لموسى بن ميمون اليهودي.
(٢) دلالة الحائرين ص (٤١١/ ٤١٢).

كانوا بمنزلة الوعاظ للناس داعين لشريعة موسى يتواعدون الراغب عنها ويعدون من استقام في اتباعها وهذه الشريعة أبدية لبني إسرائيل وبنيهم.

ويستدل ابن ميمون بنص في سفر التثنية يقول: «**السرائر للرب إلهنا والمعلقات لنا ولنبينا إلى الأبد لنعمل بكلمات هذه الشريعة**»(١).

واليهود على اختلاف فرقهم ينكرون نبوة محمد ﷺ باستثناء فرقة منهم تدعي الموشكانية أشار إليها «الشهرستاني» أثبتوا النبوة للرسول ﷺ ولكن خصصوا رسالته إلى العرب ولسائر الناس، باستثناء اليهود ويحتجون بأن اليهود أهل ملة وما سواهم لا ملة لهم(٢). وأشار إلى فرقة أخرى تدعي بالعيسوية البغدادية في الفرق بين الفرق.

ويربط اليهود بين النسخ والبداء(٣) ويقولون «**إن النسخ في الأوامر بداء والبداء لا يجوز على الله تعالى**(٤) إذ عندهم كيف يجوز أن ينسب إلى الله تعالى كتاب ينقض بعضه بعضًا يريدون بذلك ينسخ بعضه بعضًا»(٥).

أما فيما يتعلق بالشرائع فإنهم قد استنكروا أن يبدل الله آية بآية أخري أو حكمًا بحكم آخر وكانوا يأخذون من جواز النسخ عند المسلمين مسوغًا لعدم الإيمان بالرسول ﷺ وكانوا يقولون هاهو محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخرقه ويقول اليوم قولاً ثم يرجع فيه غدًا(٦).

هذا عن اليهود فهم يعتبرون أن شريعة موسى هي الشريعة الأبدية ومن ثم فهم لا يعترفون بنبوة محمد ﷺ ويعيبون في الوقت نفسه على جواز النسخ

---

(١) سفر التثنية: ٢٩.
(٢) انظر الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٤٦، ٤٧).
(٣) البداء: ظهور الرأي بعد أن لم يكن واستصواب شيء بعد أن لم يعلم ويقال بدا لي في هذا الأمر بداء أي ظهر لي فيه رأي آخر. المعجم الوسيط (١/ ٤٥).
(٤) الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٤٢) بهامش الفصل لابن حزم.
(٥) إفحام اليهود ص (١٥٥).
(٦) بنو إسرائيل في الكتاب والسنة ص (١٥٣، ١٥٤).

عند المسلمين ويعتبرون أن النسخ بداء أي استصواب شيء بعد أن لم يعلم.

الرد على مزاعم اليهود في عدم النسخ:

يبين الله جل وعلا كذب اليهود في رفضهم الإيمان بالرسول ﷺ تحت دعوى الاكتفاء بما أنزل على أنبيائهم الذين أتوا بتقرير شريعة موسى عليه الصلاة والسلام.

فيقول الله جل وعلا كاشفًا لسلوكهم المشين مع أنبيائهم ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة :٩١-٩٢] .

وهذه الآية تبين كذب اليهود وافترائهم من وجوه:

الأول: إن دعوى اليهود بأنهم يؤمنون بالتوراة التي نزلت عليهم فيها تناقض لأن التوراة تدل على الصدق، ودلت أيضًا على أن من كان صادقًا في ادعاء النبوة ثم قتل فإن قتله يقتضى كفر من قتلوه واليهود قتلوا أنبياءهم مثل «زكريا ويحيى» عليهما السلام، وهموا بقتل «عيسى» ولكن الله نجاه منهم.

الثاني: إن دعوى اليهود منقوضة لأنهم لم يلتزموا بما جاء به موسى عليه الصلاة والسلام واتخذوا العجل في حياته ولو كانوا مؤمنين حقًا بالتوراة وبموسى ما فعلوا ذلك.

الثالث: أنه لما ثبتت نبوة محمد ﷺ بالمعجزات التي ظهرت على يديه وبما تواتر لدي اليهود من البشارة به في التوراة كان الإيمان واجبًا لا محالة وعند هذا يتضح أن الإيمان ببعض الأنبياء وببعض الكتب والكفر بالبعض الآخر خروج عن الإيمان، والتصديق أصلاً وفصلاً، ومن ثم يظهر كذب اليهود فيما ادعوه من الإيمان بموسى وبأنبيائهم لأنهم لم يؤمنوا بمحمد ﷺ الذى جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه.

أما ما يزعمه اليهود من أن شريعتهم أبدية وهو ما ذكره ابن ميمون فيرد عليهم، وعليه بما ورد في التوراة التي بين أيديهم من أن هناك نبيًا منتظرًا يأتي

وهم مأمورون بالإيمان به واتباعه.

ورد في سفر التثنية: «**يقيم لك الرب إلهك نبيًا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون**»[١].

وورد في نفس السفر: «**أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامي الذى يتكلم به باسمي أنا أطالبه**»[٢].

وهذا النص والذى قبله يشيران إلى نبوة محمد ﷺ، وأن الله يقول سأجعل لبني إسرائيل نبيًّا من إخوتهم، وإخوانهم أولاد إسماعيل عليه الصلاة والسلام ولو كان النبي من أولاد يعقوب لقال منهم أو من أنفسهم ولم يقل من إخوتهم لأنه قد ورد في التوراة الحالية أنه لا يكون نبي من بني إسرائيل مثل موسى، فلا بد وأن يكون من غير بني إسرائيل وبأن المراد به محمد ﷺ[٣].

أما استدلال فلاسفتهم مثل موسى بن ميمون على أبدية الشريعة، فإن كلمة الأبد وردت في العهد القديم بمعني المدة المحدودة.

فقد ورد في سفر التثنية: «**لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد**»[٤].

وهذا يدل على أن الأبد هنا محدد[٥] بالجيل العاشر، وكذلك شريعة موسى ليست أبدية إلى يوم القيامة، وإنما هي مؤقتة بظهور النبي ﷺ، ومن هنا يظهر كذب اليهود في ادعائهم أبدية الشريعة اليهودية.

وقد أورد الإمام السموأل في كتابه إفحام اليهود إلزامات على اليهود في

---

(١) سفر التثنية ١٨ ـ ١٥.

(٢) سفر التثنية ١٨/ ١٨ ـ ٢٠.

(٣) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (١٤٦).

(٤) سفر التثنية ٢٣/ ٣.

(٥) أشعياء ٦٠: ٢٠ ـ ٢٢.

النسخ منها قوله في مجادلتهم:

هل كان من قبل نزول التوراة شرع أم لا؟

فإن جحدوا كذبوا بما نطق به الجزء الثاني من السفر الأول من التوراة إذ شرع الله تعالى على نوح عليه الصلاة والسلام القصاص في القتل ذلك قوله:

«شيوفيخ دام ها أدام داموا يشافيخ كي بصلم ألوهيم عاما اث ها أدام».

تفسيره:

«سافك دم الإنسان فليحكم بسفك دمه لأن الله تعالى خلق الآدمي بصورة شريفة»(١).

وبما يشهد به الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة إذ شرع الله تعالى على إبراهيم عليه الصلاة والسلام ختانة المولود في اليوم الثامن من ميلاده، وهذه وأمثالها شرائع لأن الشرع لا يخرج عن كونه أمرًا ونهيًا من الله تعالى لعباده سواء نزل على لسان رسول أو كتب في أسفار أو ألواح أو غير ذلك، فإذا أقروا بأن قد كان شرع. قلنا لهم: ما تقولون في التوراة هل أتت بزيادة على تلك الشرائع أم لا؟

فإن لم تكن أتت بزيادة فقد صارت عبثًا إذ لا زيادة فيها على ما تقدم ولم تغن شيئًا فلا يجوز أن تكون صادرة عن الله تعالى فيلزمكم أن التوراة ليست من عند الله وذلك كفر على مذهبكم وإن كانت التوراة أتت بزيادة فهل في تلك الزيادة تحريم ما كان مباحًا أم لا؟

فإن أنكروا ذلك بطل قولهم من وجهين:

الأول: أن التوراة حرمت الأعمال الصناعية في يوم السبت بعد أن كان

---

(١) هذه هي ترجمة الإمام السموأل للنص العربي، أما ترجمة النص ذاته في العهد القديم الآن **«سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه لأن الله على صورته عمل الإنسان».**

ذلك مباحًا وهذا بعينه هو النسخ.

الثاني: أنه لا معني للزيادة في الشرع إلا تحريم ما تقدمت إباحته أو إباحة ما تقدم تحريمه[١] وهي إلزامات لا يمكن لليهود نقضها إلا بالمكابرة والجحود.

وقد ورد في أسفار اليهود ما يدل دلالة قاطعة على وجود النسخ في الشريعة اليهودية، وهناك نصوص حرمت عليهم بعض الأطعمة ونصوص أخرى أحلت لهم هذه الأطعمة.

من ذلك ما ورد في سفر التكوين «**وبارك الله نوحًا وبنيه وقال لهم أثمروا وأكثروا واملئوا الأرض ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء مع كل ما يدب على الأرض وكل أسماك البحر قد دفعت إلى أيديكم كل دابة حية تكون لكم طعامًا كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع**»[٢].

هذا النص يفيد أن الأطعمة كلها كانت حلالاً لنوح عليه الصلاة والسلام ولأبنائه، ولكن هذا العموم وتلك الإباحة حرمت منها بعض الأطعمة.

ومن ذلك ما ورد في نفس سفر التكوين، ولكن في زمان يعقوب «**فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلًا لأني نظرت الله وجهًا لوجه ونجيت نفسي وأشرقت له الشمس إذ عبر فنوئيل وهو يجمع على فخذه لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا على حق الفخذ إلى هذا اليوم لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا**»[٣].

وكما هو واضح فإن يعقوب حرم عليه ما أحل لنوح ولأبنائه.

أما في زمان سيدنا موسى فإن هناك جملة من الأطعمة حرمت على اليهود من ذلك ما ورد في سفر اللاويين: «**وكل دبيب يدب على الأرض فهو مكروه لا**

---

(١) إفحام اليهود ص (٨٦، ٨٧، ٨٨).

(٢) سفر التكوين ٩: ١ - ٤.

(٣) سفر التكوين ٣٢: ٣٠ - ٣٣.

يؤكل كل ما يمشي على بطنه وكل ما يمشي على أربع مع كل ما كثرت أرجله من كل دبيب يدب على الأرض لا تأكلوه لأنه مكروه. لا تدنسوا أنفسكم بدبيب يدب ولا تنجسوا به ولا تكونوا به إني أنا الرب إلهكم فتتقدسون وتكونون قديسين لأني أنا قدوس ولا تنجسوا أنفسكم بدبيب يدب على الأرض. هذه هي شريعة البهائم والطير وكل نفس حية تسعى في الماء وكل نفس تدب على الأرض للتمييز بين النجس والطاهر وبين الحيوانات التي تؤكل والحيوانات التي لا تؤكل»(١).

وهذا النص أوضح من سابقيه في تحريم بعض الأطعمة التي أحلت لنوح وليعقوب عليهما السلام، وكما فعل الله مع نوح ويعقوب، وموسى وعيسى فعل مع محمد ﷺ، فقد نسخ الإسلام الشرائع السابقة التي قبله وجاء يحل الكثير من الأطعمة التي حرمت على اليهود بسبب ظلمهم.

يقول تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٦٠].

أما بالنسبة لأمة الإسلام فإن الله جل وعلا قد أباح كل الأطعمة باستثناء بعض المحرمات.. يقول تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وبعض الأطعمة الأخرى التي وردت في السنة مثل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطيور والحمر الأهلية.

وغرضنا من هذا كله أن نبين أن النسخ كان موجودًا في شريعة الأنبياء قبل وبعد موسى عليه الصلاة والسلام كما أوضحنا.

---

(١) سفر اللاويين ١١/ ٤١ - ٤٧، وقد اكتفيت هنا بإبراز بعض الفقرات وإلا فإن الإصحاح كله أسماء حيوانات وطيور وأسماك. هذه تؤكل وهذه لا تؤكل مثل الأرنب والجمل وكل ما ليس مشقوق الظفر والضب والفأر وأصناف متعددة مذكورة باسمها.

بقيت نقطة أخيرة وهي ربط اليهود بين النسخ والبداء:

إن النسخ لا يغير أمرًا قد استحدث عند الله بعد أن لم يكن.. وإنما هو جديد بالنسبة للبشر فقط، أما بالنسبة لله تعالى فهو قد سبق في علمه وأظهره في وقت حدده سبحانه وتعالى، فالنسخ يعتبر تحقيقًا لما علمه الله لا اعتراضًا عليه. ومثال ذلك ولله المثل الأعلى: حين يعالج الطبيب مريضًا فيرى أن المرحلة التي يجتازها من مراحل مرضه يصلح لها دواء معين وهو يعلم المدة التي يجب أن يتناول الدواء فيها. ثم يصف له بعد مدة أخرى دواء آخر يصلح له في هذه المرحلة فلا يوصف الطبيب أنه كان جاهلاً لأنه وصف دوائين في فترتين مختلفتين، لأنه هو الذى قد حدد حالة المريض منذ البداية.

والله جل وعلا سبق في علمه شريعة معينة تصلح لوقت معين وشريعة أخرى تصلح لوقت آخر تنسخ سابقتها فمن فعل ذلك.. هل يوصف بالجهل؟ تعالى الله عما يصفه به اليهود علوًّا كبيرًا[١].

ونحن نتساءل: إذا كان النسخ موجوذا بالنصوص التي أوردناها من عند اليهود وأن النسخ لا يستلزم البداء فلماذا ينكر اليهود النسخ؟

والجواب على هذا من خلال الدراسة المتواضعة للباحث ينحصر في:

أولًا: أن اليهود يكتمون الحق وهم يعلمونه.

ثانيًا: أن اليهود اختلقوا مسألة عدم جواز النسخ لا لأن شريعتهم تقول بذلك،ولكنهم يقصدون من وراء إنكارهم النسخ ووقوعه إنكار نبوة عيسي عليه الصلاة والسلام أولاً، وثانيًا إنكار نبوة محمد ﷺ بناء على أن شريعتهم أبدية كما يزعمون وشريعة محمد ﷺ ناسخة لها، ومن ثم قد اخترعوا عدم جواز النسخ لهذا السبب.

---

(١) انظر النسخ للدكتور مصطفي زيد ص (٣٠، ٣١)، وانظر إفحام اليهود ص (٩٩، ١٠٠).

الفصل الثالث
البعث عند اليهود

البعث عند اليهود

من الحقائق المعروفة لدي المسلمين أن الله جل وعلا أنزل على موسى عليه الصلاة والسلام التوراة فيها هدى ونور. يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة :٤٤] .

ومعلوم أن «**هذه التوراة قد اشتملت على التعاليم التي أرادها الله تعالى من بني إسرائيل سواء كانت متعلقة بالعقيدة أو بالشريعة.**

لقد اشتملت التوراة على العقائد والشرائع[١] ومن ضمن أمور العقيدة التي وردت في التوراة اليوم الآخر وتفصيلاته المختلفة.. يقول الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف :١٤٥] .

وسواء أكانت التوراة هي الألواح أم كانت الألواح مغيرة للتوراة[٢]. فموسى عليه الصلاة والسلام أوحى الله إليه تفصيلاً لكل الأشياء سواء في التوراة أم في الألواح ومن ضمن الأشياء التي فصلها الله لموسى عليه الصلاة والسلام اليوم الآخر بتفصيلاته المختلفة من البعث والجزاء والحساب والجنة والنار وغيرها.. يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام :١٥٤] .

ولكن بالتأمل في أسفار موسى الخمسة الحالية والتي يطلق عليها اليهود اسم التوراة وجدنا أنها خالية من الحديث عن البعث والجزاء والجنة والنار..

يقول الدكتور/ دراز: «**لا نصادف منذ آدم حتى موسى إلى آخر عهده أية إشارة في أي مكان إلى حياة بعد الموت كأن لم يكن لعقيدة الحياة الأخرى مكان**

---

(١) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (٩٦).

(٢) يذهب جمهور العلماء إلى أن التوراة هي الألواح ومن جمهور العلماء: الجلالان السيوطي والمحلي وابن كثير. انظر الآراء في ذلك في كتاب مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (٩٩، ١٠٠).

في أديانهم»[١].

ووجدنا «ابن كمونة» اليهودي في كتابه «**تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث**» يعترف بخلو التوراة من البعث والثواب والعقاب الأخرويين ويدافع عن خلو التوراة من البعث ويعلل ذلك بتعليلات سنتعرض لها عند الحديث عن ذلك.

وإذا تركنا أسفار موسى الخمسة وتأملنا أسفار الأنبياء الذين جاءوا من بعد موسى على حد قولهم، وجدنا أن هناك بعض الإشارات عن البعث والجزاء وبدراسة هذه النصوص وجدنا أنها مختلف حولها:

فالبعض يذهب[٢] إلى أن المقصود بها العودة القومية لليهود وانتصارهم على أعدائهم، والبعض الآخر[٣] يذهب إلى أن تلك النصوص مقصود بها البعث الأخروي، ولكن اليهود تأثروا في عصورهم المتأخرة بالبعث من الديانة الفارسية والبابلية بعد عودتهم من السبي.

وتوجد بعض النصوص في التلمود[٤] والمشناة تشير إلى البعث والحساب والجزاء في الآخرة.

وبعض المصادر التي عثر عليها لعلماء اليهود تتحدث عن اليوم الآخر وأن

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن ص (٢٨) للدكتور محمد عبد الله دراز - ترجمة: د: عبد الصبور شاهين - مؤسسة الرسالة - دار البحوث العلمية - بيروت - الطبعة الثالثة ١٩٨٠م.

(٢) منهم على سبيل المثال: صاحب كتاب «**تراث العالم القديم**» وروح دي بورج ص (٩٩)، ومنهم ناشد حنا في تفسيره لسفر أشعياء. ومنهم صاحب السنن القويم في تفسير العهد القديم، ومنهم صاحب كتاب الديانات والعقائد في مختلف العصور. ومنهم مؤلف الكتاب المقدس وإن كان الذين ذكرنا أسماءهم أو أسماء كتبهم من غير اليهود إلا أننا نستأنس بآرائهم ولا يلزمنا أن نأخذ باتجاهاتهم في التفسير لنصوص البعث في أسفار الأنبياء.

(٣) من هؤلاء على سبيل المثال: صاحب كتاب علم اللاهوت الكتابي - صاحب كتاب الفكر الإسرائيلي - أطواره ومذاهبه واليهود تاريخًا وعقيدة ومفصل العرب واليهود في التاريخ قصة الحضارة لديورانت.

(٤) التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص (٤٩).

اليهود يعتقدون في البعث والجزاء وأن عقيدة البعث عقيدة أساسية عند أمة اليهود.

وأمام إقرار اليهود بخلو التوراة الحالية، وأعنى بها أسفار موسى الخمسة ـ عن البعث ووجود بعض الإشارات عن الآخرة في أسفار الأنبياء المتأخرين ـ وبعض نصوص التلمود وأقوال اليهود واعتقادهم في البعث بعد الموت. رأيت أن أدرس البعث عند اليهود في اتجاهات ثلاثة:

الاتجاه الأول:

التوراة الحالية وخلوها من الحديث عن البعث والجزاء وأعني بالتوراة هنا أسفار موسى الخمسة الحالية ـ كما يسميها اليهود ـ فهم يطلقون التوراة على أسفار موسى الخمسة فقط، معلقًا على خلو التوراة الحالية من الحديث عن اليوم الآخر والسبب في ذلك.

الاتجاه الثاني:

عرض الإشارات التي وردت في أسفار الأنبياء المتأخرين ودراسة ما قيل حولها.

الاتجاه الثالث:

عرض عبارات التلمود وشراح العقائد اليهودية وبيان توافقهم أو اختلافهم عن التوراة وأسفار الأنبياء.

وأسجل العذر في البداية عن قلة المصادر اليهودية التي عثرت عليها ورجعت إليها وذلك لأن اليهود لا يحبون نشر دينهم خارج بني جنسهم لاعتقادهم أنهم أبناء الله وأحباؤه وأنهم شعب الله المختار.

ثم التعقيب على هذه الاتجاهات والحكم عليها من خلال الاحتكام إلى القرآن الكريم باعتباره المهيمن على ما سبقه من الكتب..

يـقـول تـعـالـى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾ [المائدة :٤٨] .

* * *

الاتجاه الأول

خلو التوراة من البعث والجزاء

نقصد بالتوراة هنا ما يقصده اليهود.. فقد اصطلح الإسرائيليون على تسمية أسفار موسى الخمسة باسم التوراة المكتوبة، وتسمية التلمود باسم التوراة الشفاهية أو المنقولة[١].

وخلو التوراة من الحديث عن البعث والجزاء كان مثارًا للطعن فيها والجدل حولها.. وورد في كتاب تنقيح الأبحاث ففي الملل الثلاث لابن كمونة تحت عنوان الاعتراض الخامس ما نصه:

«إن هذه التوراة لم نجد فيها تصريحًا بالثواب والعقاب الأخرويين، وذلك من أهم ما يذكر، وهو الأصل الأعظم في التشريع. فلو كانت التوراة التي بأيدي اليهود منزلة من الله تعالى لما جاز خلوها من التصريح بذلك، والعدول عنه إلى الدنيويين الذين قد أكثر من ذكرهم في التوراة، فإن الدنيا زائلة ولا اعتداد بنعيمها ولا شقائها»[٢].

هذا جزء من الاعتراض الذى وجه للتوراة أثناء مجادلة ابن كمونة اليهودي.. ويرد «ابن كمونة» على هذا الاعتراض قائلاً: **«إن خلو التصريح بذلك لا يضر إذا كان قد أنزل على موسى (يقصد البعث والجزاء) وخاطب به بني إسرائيل واستفاض فيهم فإن قيل: فلم لم يكتبه في التوراة مصرحًا؟ قيل: إن الأمور الإلهية لا يجوز المعارضة فيها ولا السؤال عنها، بل ربما يكون ذلك لحكمة لا نعرفها»[٣].**

---

(١) التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص (٢، ٣).

(٢) تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث ص (٤٠) لصديق منصور بن كمونة اليهودي - الناشر: دار الأنصار.

(٣) نفس المصدر السابق ص (٤٠).

ثم يشرح خلو التوراة من الحديث عن البعث والجزاء بقوله: «إن الأنبياء أطباء النفوس بإرشاد الله تعالى إياهم، وكما أن طبيب الأبدان إنما يعالج على حسب ما يجده في زمانه، وأهل زمان موسى لم يكونوا منكرين لثواب الآخرة وعقابها، بل كان مرضهم عبادة الأصنام والكواكب، وغيرها وبالجملة عبادة غير الله تعالى، واعتقادهم أنهم بعبادتهم وتقريب القرابين لها تعمر الأرض وتخصب البلاد وتصح ثمار الأشجار، وكان علماؤهم ونساكهم وأهل التقوى منهم يعظون الناس ويعلمونهم أن الفلاحة التي بها قوام وجود الإنسان إنما تتم وتجيء على الاختبار، بأن تعبدوا الشمس والكواكب وإن سخطتموها بعصيانكم أفقرت البلاد وخربت، وقالوا في كتبهم التي ذكرناها أن المشتري سخط على البراري والصحاري ولذلك صارت عادمة الماء وعادمة الأشجار يأويها الغيلان وكانوا يعظمون الفلاحين والأكادين جدًا لاشتغالهم بعمارة الأرض التي هي من إرادة الكواكب»[١].

ويحكي «ابن كمونة» عن الصابئة أنهم كانوا يذكرون في كتبهم أن «الحكماء القدماء كلهم، والأنبياء قد فرضوا أن يضرب بالآلات في الأعياد وبين أيدي الأصنام وأن الآلهة يعجبها ذلك وأنها تكافئ فاعليه أحسن مكافأة»، وأكثروا في هذا الفصل من الوعد والوعيد على ذلك من تطويل الأعمار، ودفع الآفات وصرف العاهات وخصب المزارع وزكاة الثمار، فلما شهرت هذه الآيات حتى ظنت يقينًا وأراد الله «تع»[٢] رحمة منه محو هذا الغلط من الإنسان ورفع هذا التعب عن الأجساد بتعطيل تلك الأعمال الشاقة الغير المفيدة أخبر على لسان رسوله موسى «عم»[٣] أنه إن عبدت هذه الكواكب والأصنام انقطع المطر وخربت الأرض فلم تنبت شيئًا وسقطت ثمار الأشجار، وحلت الآفات والعاهات بالأجسام، وقصرت الأعمار، وبالإقبال على عبادة الله «تع» تنزل الأمطار

(١) تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث لابن كمونة ص (٤٠).
(٢) لعلها «تعالى» وقد نقلت النص بحرفيته.
(٣) لعلها عليه السلام.

وتخصب الأرض، وتصلح الأحوال ويصح الجسم وتطول الأعمار وكرر هذا الوعد والوعيد في عدة مواضع من التوراة ليزول ذلك الرأي وينمحي أثره من النفوس[١].

ويبين «ابن كمونة» أن سبب خلو التوراة من الحديث عن البعث والجزاء هو معرفة بني إسرائيل بهذه العقيدة، ولذلك لا تحتاج إلى تكرار، يقول: «ولو كان مرضهم إنكار البقاء الأبدي للنفوس بعد الموت والثواب والعقاب فيه لكان قد كرر ذكره في التوراة للتأكيد والتقرير، ولما لم يكن الأمر كذلك اقتنع باستفاضته بين الأمة والتعريض به. ولهذا كانت اليهود معتقدة ومقرة بالبعث والنشور للأموات، وبقاء النفس بعد موت الأجساد وتناقلوا ذلك سلفًا عن خلف[٢]، وترحموا على موتاهم وأذعنوا بالتوبة عند ظنهم حلول الأجل»[٣].

ويذكر «ابن كمونة» تأكيدًا لعقيدة البعث عند اليهود أنهم «قد أوجبوا ذكر الإيمان بإحياء الموتى في الصلاة وغير الصلاة وعند اجتيازهم بمقابر أمتهم»[٤].

والنص الذى نقلناه عن ابن كمونة يبرز أمرين:

الأمر الأول: أن التوراة خالية من البعث والثواب والعقاب وذلك يرجع إلى أن بني إسرائيل كانوا على علم بالبعث والجزاء قبل موسى عليه السلام، فلم يحتاجوا إلى تكرار الحديث عنه، وإنما جاء موسى ليذكرهم بعبادة الله وحده لأنهم كانوا يعبدون الأصنام.

الأمر الثاني: أن التوراة وإن خلت من الحديث عن البعث والجزاء فإن ذلك لا يعني أن اليهود ينكرون البعث فهم يعتقدون ويقرون بالبعث والنشور

---

(١) تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث ص (٤١).
(٢) لعلها خلفًا عن سلف حتى يستقيم المعنى.
(٣) نفسه ص (٤٢).
(٤) تنقيح الأبحاث ص (٤٢).

للأموات وبقاء النفس بعد موت الأجساد وتناقلها ذلك الخلف عن السلف كما يقول «ابن كمونة»، وإن خلو التوراة «أي أسفار موسى الخمسة» من الحديث عن البعث والجزاء يجعل كثيرًا[١] من الباحثين يذهبون إلى أن اليهود لا يعتقدون بالبعث والثواب والعقاب في الآخرة وهذا يغاير الواقع الذي يصرح به اليهود، ويكون كلام الباحثين موافقًا للحقيقة إذا قصدوا أن توراة موسى الحالية خالية عن البعث والجزاء، لأن اليهود يقرون بذلك، ويقدمون أسبابًا لخلو التوراة من الحديث عن الآخرة، كما ورد في نص «ابن كمونة» وهم يعترفون «**بأن التوراة لم تفصح عن المعاد إفصاح التلموديين**»[٢].

ولأن التوراة ليست هى المصدر الوحيد الذى يستقى اليهود عقائدهم منها وقبل أن نبين السبب الحقيقى في خلو التوراة الحالية عن البعث والجزاء.. ونرد على «ابن كمونة» في زعمه بأن سبب خلو التوراة عن البعث هو الإيمان السابق به فلا حاجة للتكرار.. نقول: إن المسائل الغيبية خاصة فيما يتعلق بالبعث والجزاء والجنة والنار لا سبيل لمعرفتها إلا من خلال الوحى المنزل، والمتمثل في النصوص المكتوبة التي يرجع إليها، خاصة وأن الناس دائما عرضة للسهو والنسيان.

ثم إن التكرار في المسائل السمعية مهم جدًّا، وضرورى لاستمرار الإيمان خاصة في تلك العقائد التي تتحدث عن أمور لا يشاهدها الناس ولا يخبرون عنها ممن سبقوهم وتكرار أمر من الأمور يدل على أهميته وعدم استغناء البشر

---

(١) انظر على سبيل المثال: قصة الحضارة (٢/ ٣٤٥)، وانظر الفكر الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ص (١١١، ١١٢) وانظر أديان العالم: حبيب سعيد ص (١٩٤، ١٩٥)، والفصل في الملل والنحل لابن حزم (٢/ ٨٦)، مفصل العرب واليهود في التاريخ ص (٥٤٥) وانظر: مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (١١٨، ١١٩)، وقصة الأديان للدكتور رفقي زاهر ص (٣٠٩، ٣١٠)، واليهود تاريخًا وعقيدة ص (١٦١)، واليهودية للدكتور أحمد شلبي ص (١٩٥).

(٢) التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص (٩٠، ٩١) ترجمة عن العبرانية وشرحه: د/ شمعون يوسف موبال، مطبعة العرب ١٩٠٩ - دار الكتب المصرية - تحت رقم (١) لاهوت.

عنه خاصة في أمر عقيدة الآخرة التي توجه حياة الناس، ولما كانت الآخرة بهذه المنزلة فإنه من غير المعقول ألا تشتمل التوراة عليها والحديث عنها.

ويتبين لنا أن خلو التوراة من الحديث عن اليوم الآخر إن دل على شيء فإنما يدل على التحريف الذى لحق بالتوراة التي نزلت على موسى عليه السلام. والقرآن الكريم يقرر ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران :٩٣] .

والدليل على التحريف الذى لحق بالتوراة من بعد موسى: أن هناك توراة عبرية وتوراة سامرية وبينهما اختلافات جوهرية تتعلق بالأصل الذى نبحثه وهو البعث والجزاء..

يقول الدكتور السقا: «**إن موسى عليه السلام سلم التوراة التي أنزلها الله عليه إلى بنى إسرائيل وكان موسى نحو ١٥٧١ ق . م وفى مدينة بابل بالعراق من بعد سنة ٥٨٦ ق. م غير علماء بنى إسرائيل نصوصا من التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى، ومن هذه النصوص التي غيروها النص على يوم القيامة، ولما رجع بنو إسرائيل من بابل بالتوراة الجديدة التي كتبها لهم «عزير»** في بابل اختلفوا على عاصمة الدولة أورشليم أم شكيم؟ واختلفوا على الجبل المقدس: صهيون أم جرزيم؟ ولما لم يتفقوا انقسموا إلى فريقين:

السامريين في شكيم ويقدسون جوزيم ويتجهون إليه في الصلاة.

العبرانيين في أورشليم ويقدسون صهيون ويتجهون إليه في الصلاة[(١)].

و«ابن حزم» في الفصل يذكر أن بأيدى السامرية توراة غير التي بأيدي سائر اليهود يزعمون أنها المنزلة ويقطعون أن التي بأيدى اليهود محرفة مبدلة وسائر اليهود يقولون: إن التي بأيدى السامرية محرفة مبدلة[(٢)] ولا يعلق «ابن حزم»

---

(١) مقدمة يقظة أولي الاعتبار بما ورد في ذكر النار وأصحاب النار للشيخ صديق حسن خان ص(٦) تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ـ الناشر ـ التراث الإسلامي بالأزهر.

(٢) الفصل لابن حزم (١/ ٩٤).

على التوراة السامرية وما فيها لعدم إطلاعه عليها.. يقول: «**ولم يقع إلينا توراة السامرية لأنهم لا يستحلون الخروج عن فلسطين والأردن أصلاً**[١]»، ولكن إن كانت التوراة السامرية لم تصل إلى «ابن حزم» فقد اكتشفت هذه التوراة أخيرًا وترجمت إلى اللغة العربية ومن الاختلافات بينهما وبين التوراة العبرية النص على يوم القيامة.

يقول الدكتور السقا: «**قد وجدنا التوراة التي بأيدى السامريين تختلف في بعض الآيات عن التوراة التي بأيدى العبرانيين ومن الآيات المختلف فيها النص على يوم القيامة فهو في التوراة السامرية صريح للغاية، وهو في التوراة العبرانية يحتمل معنيين: إما الجزاء في الدنيا وإما الجزاء في الآخرة**[٢]».

والنص المختلف حوله في التوراة العبرانية هو «**أليس مكنوزًا عندى مختومًا عليه في خزائنى لى النقمة والجزاء في وقت تزل أقدامهم**»[٣].

وقد رجعت إلى تفسير النص في السنن القويم في تفسير العهد القديم فوجدت «**النقمة والجزاء**» أى أنا المنتقم والمجازى لا سواى وقد اقتبس الرسول[٤] هذه العبارة في المعنى مع تغيير زهيد في اللفظ بقوله في رسالة العبرانيين فإننا نعرف الذى قال لى الانتقام أنا أجازى.

يقول الرب ويقوله في رسالة الرومانيين «**أنه مكتوب لى النقمة وأنا أجازى يقول الرب في وقت تزل أقدامهم وزلة القدم هنا استعارة للخطأ**»[٥].

ونلاحظ هنا أن النص فسر في التوراة العبرانية على أن المقصود من الانتقام

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) مقدمة يقظة أولي الاعتبار ص (٧).

(٣) سفر التثنية ٣٢: ٣٤ ـ ٣٥.

(٤) يقصد «بولس» لأن المفسر نصراني وهو يربط بين ما ورد في العهد الجديد والقديم لأنه يعتبر هو والنصارى أن المصدر واحد.

(٥) السنن القويم في تفسير العهد القديم (٢/ ٥٠) الناشر مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ١٩٧٣م.

والجزاء في وقت زلة أقدامهم الجزاء في الدنيا لا الآخرة، وإن كنا هنا نقرر أن تفسير صاحب السنن القويم ليس حجة على اليهود أى أننا نذكر رأيه استئناسًا ليتبين لنا أن النص في التوراة العبرانية ليس صريحًا على يوم القيامة.

أما النص في التوراة السامرية التي يقول اليهود السامريون إنه صريح في الإشارة إلى يوم القيامة فهو **«أليس هو مجموعا عندى مختوما في خزائنى إلى يوم الانتقام والمكافأة وقت تزل أقدامهم إذ قريب يوم تعنتهم وتسرع المستعدات إليهم إذ يدين الله قومه، وعن عبده يفصح إذ يرى إن زلت اليد وانقرض المحاصر والمطلق ويقولون: أين آلهتهم القوية التي استظلوا بها التي شحوم ذبائحهم يأكلون ويشربون خمر سكبهم تقوم وتعينكم وتكون عليكم سترة انظروا الآن إننى أنا هو ليس آلهة معى أنا أميت وأحيي أمرضت وأنا أشفى وليس من يدى مخلص»**[١].

هذا هو نص التوراة السامرية التي يقول عنه السامريون: إنه يدل على يوم القيامة.

ويعلق اليهود السامريون على النص السابق بقولهم: **«إن قوله يوم الانتقام والمكافأة يدل بصراحة ووضوح على قيام الناس من القبور للقاء الله فيجزيهم على أعمالهم التي عملوها في الحياة الدنيا»**[٢].

وهذا النص بالرغم من ادعاء السامريين من صراحته على يوم القيامة إلا أننا نجده لا يتناسب مع طول أسفار موسى الخمسة واشتمالها على تفصيلات كثيرة أقل شأنا بكثير من يوم القيامة. وهذا يدل على أن تلك التوراة أعنى السامرية محرفة هى الأخرى.

أين ذلك النص المختلف حوله على فرض أنه يشير إلى الآخرة في التوراة العبرية مع النص الذى يقول عنه السامريون إنه يدل صراحة على يوم القيامة على فرض صحة ادعائهم.

(١) التوراة السامرية - سفر تثنية الاشتراع ٣٤ - ٣٨.
(٢) التوراة السامرية ص (٣٩٢، ٣٩٣) تحقيق د/ أحمد حجازي السقا.

أقول أين هذان النصان من حديث القرآن الكريم عن اليوم الآخر وتفصيلاته التي استوعبت معظم سور القرآن الكريم إلى حد أننا قلما نجد سورة في القرآن الكريم إلا وتتحدث عن البعث والجزاء والجنة وأوصافها والنار وعذابها.

ونحن نعتقد أن التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام كان فيها تفصيل لكل شيء ومن الأشياء التي أوحى الله بها إلى موسى اليوم الآخر وما فيه من بعث وجزاء وجنة ونار، باعتبار أن اليوم الآخر هو أحد الأصول العقدية في جميع رسالات الأنبياء قبل موسى عليه السلام وبعده. ونجزم أيضا أن دعوة موسى عليه السلام كان فيها الإنذار بالعذاب في اليوم الآخر، يقول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه :٤٨] ويقول تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه :١٤-١٥] . ويقول سبحانه ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف :١٤٥] .

والذين آمنوا بموسى عليه السلام كان عندهم علم بأمور الآخرة وما ينتظر الصالحون من ثواب وما يعاقب به الطالحون من عذاب . يقول الله تعالى عن سحرة فرعون الذين آمنوا بموسى ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ [طه :٧٢-٧٣] .

* * *

الاتجاه الثانى

الإشارات التي وردت في أسفار الأنبياء عن البعث

إذا تركنا أسفار موسى الخمسة وتأملنا أسفار الأنبياء بعد موسى عليه السلام نجد هناك إشارات عن البعث القومى لليهود وعودة دولتهم وانتصارهم على أعدائهم وسوف نناقش الباحثين فيما ذهبوا إليه .

والبعض الآخر من الباحثين يرون أن الإشارات التي وردت في أسفار الأنبياء مقصود بها البعث الأخروى . ولكنهم يرجعون تلك إلى تأثر اليهود بعقيدة اليوم الآخر من الديانة الفارسية والبابلية بعد الأسر البابلى وسوف نناقش هذا الرأى أيضًا.

ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت عنوان «القيامة في العهد القديم» يظهر من الإيمان بالإثابة والجزاء الواردين في أيوب[١] بأن القيامة مفهومة ضمنا وكذلك تذكر القيامة ضمنا في المواضع التي يعبر فيها عن رجاء الحياة الآتية مع الله وفى حضرته في المزامير[٢] ويحدثنا أشعياء[٣] عن قيامة المؤمنين وكذلك يعلم دانيال[٤] عن قيامة البعض للحياة الأبدية وقيامة آخرين للعار للازدراء الأبدى ويصف حزقيال[٥] نوعًا من القيامة يرمز إلى نهوض شعب الله[٦].

---

(١) أيوب ١٩: ٢٥ - ٢٧.
(٢) ١٦: ٩ - ١١، ١٧: ١٥، ٤٩: ١٥، ٧٣: ٢٤.
(٣) أشعياء ٢٦: ١٩.
(٤) ١٢: ٢.
(٥) حزقيال ٣٧: ٤ - ٧.
(٦) قاموس الكتاب المقدس ص (٧٤٨ - ٧٤٩).

وسوف نعرض النصوص التي أشار إليها الكتاب المقدس لنرى هل تشير إلى البعث الأخروى أو تشير إلى البعث القومي لليهود كما يذهب البعض؟

نص أيوب **«أما أنا فقد علمت أن ولي حي والآخر على الأرض يقوم وبعد أن يفنى جلدي هذا وبدون جسدي أرى الله الذي أراه لنفسي وعيناي تنظران وليس آخر إلى ذلك تتوق كليتاي في جوفي»**[١].

ويشرح صاحب السنن القويم في تفسير العهد القديم نص أيوب هكذا: **«فقد علمت امتحنه الله بمصائب عظيمة حتى ظهر له أن الله قد تركه وأصحابه كانوا له معزين متعبين، وليس له رجاء بالحياة ولا بذكر طيب بعد الموت وليس أمامه إلا الظلام ومع ذلك ظل إيمانه ثابتًا بأن الله يحبه ولا يترك من خلقه واعتنى به والشركة التي كانت له مع الله عربون شركته أفضل تدوم إلى الأبد فقال بشدة «قد علمت»** ولم يعلم إلا بالإيمان «ولي» الولي هو النسيب الأقرب الذى له حق أن يأخذ بالثأر وله حق أن يفك الميراث[٢] والله ولي شعبه[٣] وهو ولي المؤمنين أفرادًا أي يعينهم وينتقم لهم كنائب عنهم ولا يشير الاسم «ولي» إلى من يخلص من الخطيئة كالاسم «فادي» في العهد الجديد وقال: إن وليه حي سيبرره بعد موته وخصص هذا الولي لنفسه «ولي» والآخر لم يقم له ولي، وهو حي ولكنه رجا كل الرجاء بولي يقوم له في الآخر أي بعد موته الأول اشتاق إلى مصالح بينه وبين الله بدون جسدي أي بعد موته فيكون جسده قد تلاشى أرى الله وذلك بعد موته وبدون جسده»[٤].

ولا شك في أن معرفة أيوب بقيامة الجسد ورؤية الله في السماء كمعرفة غيره من قديسي العهد القديم[٥]، وهذا النص يشير إلى البعث الأخروي،

(١) أيوب ١٩: ٢٥ ـ ٢٦.
(٢) راعوث ٤: ١.
(٣) أشعياء ٥٤: ٥.
(٤) المزامير ١٩: ١٤.
(٥) السنن القويم في تفسير العهد القديم (٥/ ٢١١).

وليس المجال هنا مناقشة هل النص إلى البعث الجسدي أو البعث بالروح؟[١]. الذي يثبته النص أن أيوب كان عنده إيمان أنه سيبعث ويرى الله وهذا ما يرجوه وينتظره.

أما نصوص المزامير والتي أشار إليها قاموس الكتاب المقدس على أنها تشير إلى البعث والقيامة فهي «لأنك لم تترك نفسي في الهاوية لن تدع تقيك يرى فسادًا فعرفني سبيل الحياة أمامك شبع وسرور في يمينك نعم إلى الأبد»[٢].

«أما أنا فالبر أنظر وجهك أشبع إذا استيقظت بشبهك»[٣].

«إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية لأنه يأخذني»[٤].

«برأيك تهديني وبعد إلى مجد تأخذني. من لي في السماء ومعك لا أريد شيئًا في الأرض»[٥].

فهذه إشارات ضمنية إلى البعث والقيامة والنعيم عند الله.. وننتقل بعد ذلك إلى نص أشعياء: «تحيا أمواتك تقوم الجثث استيقظوا ترنموا يا سكان التراب لأن طلك طل أعشاب والأرض تسقط الأخيلة»[٦].

ويفسر نص أشعياء على أنه إشارة إلى البعث القومي وعودة اليهود لأرضهم..

يقول صاحب السنن القويم: «الرب قال لشعب اليهود (تحيا أمواتك) كانت اليهود في بابل مدة السبي في الذل فكانوا بلا اسم ولا قوة ولا حرية كأنهم أموات فقال لهم الرب: إنهم سيرجعون إلى بلادهم فتقوم أمة اليهود ثانية أي الكلام هنا في موت

(١) التوراة السامرية ص (١٤، ١٥) تحقيق الدكتور السقا.
(٢) مزامير ١٦: ١٠ - ١١.
(٣) مزامير ١٧: ١٥.
(٤) مزامير ٤٩: ١٥.
(٥) مزامير ٧٣: ٢٤ - ٢٥.
(٦) أشعياء ٢٦: ١٩.

الأمة السياسي وقيامتهم للحياة كأمة جديدة بإسكان الأرض إن الرب دعا هنا المذلين والحزانى إلى الفرح والتسابيح لأنه سيخلصهم. طل أعشاب. شبه اليهود بعشب قد يبس من عدم الرطوبة ثم نزل عليه المطر أي نعمة الله فانتعش. تسقط الأخيلة. معنى هذه الجملة كمعني الجملة في أول الآية. تحيا أمواتك. أي هي إشارة إلى قيامة أمة اليهود السياسية»(١).

ونفس التفسير يذهب إليه ناشد حنا في تفسيره يقول: «الحياة من الموت هنا كناية عن نهضة قومية ورجوع روحي معًا يغفر خطاياهم. قال البعض إن هذه قيامة جسدية حرفية قيامة أموات لكن قيامة الأموات نوعان:

النوع الأول: الذين فعلوا الصالحات يخرجون إلى قيامة الحياة.

النوع الثاني: الذين فعلوا السيئات يقومون إلى قيامة الدينونة يقول: «استيقظوا» أي كانوا نائمين كعظام في التراب لكنها ستقوم الأرض تسقط الأخيلة أي تلفظ الأموات(٢).

والنص على ظاهره يتحدث عن البعث ـ تحيا أمواتك ـ ولا أدري لماذا أوّله صاحب السنن القويم، وناشد حنا في تفسيره عن بعث الأموات إلى بعث اليهود القومي وعلى فرض أن النص كناية عن العودة القومية لليهود فإن اليهود يعتقدون أنهم سيبعثون قبل يوم القيامة وتقوم دولتهم وينتصرون على أعدائهم وبعد ذلك الانتصار والعودة القومية يبعثون للآخرة باعتبارهم أبناء الله وأحباؤه، ويعتبرون أن العودة القومية التي تسبق الحياة الأخرى من المميزات لهم عن بقية الأمم.. يقول «سعديا الفيومي» ألسنا نحن معشر الموحدين مقرين بأن الخالق جل جلاله محيي جميع الموتى في دار الآخرة للمجازاة فأي شيء ينكر أن يكون فضل هذه الأمة مدة زيادة يحيي موتانا قبل دار الآخرة حتى يصل حياتهم بحياة الآخرة وأي شيء المانع من ذلك والدافع له أوليس الله

(١) السنن القويم في تفسير العهد القديم ص (١٨٦ ـ ١٨٧).
(٢) أشعياء مفصلاً آية ص ٢٤٤، ٢٤٥ ج١، ناشد حنا.

يعوض كل ممتحن حسب محنته وأمتنا هذه قد امتحنها بالأمور العظيمة»(١).

فعلى فرض أن النص كناية عن العودة القومية فتلك العودة يتبعها مباشرة البعث الأخروي.. وأرى أن النص بظاهره يشير إلى البعث الأخروى.. أما إشارته إلى العودة القومية فبتأويل كما رأينا في تفسير السنن القويم وناشد حنا ونص دانيال الذى أورده قاموس الكتاب المقدس هو «**وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي**»(٢).

يقول ناشد حنا: «**وقد أخذت الآية أيضًا على أنها قيامة أموات حرفية وأنها قيامة عامة البعض يذهبون إلى الحياة الأبدية والبعض الآخر إلى جهنم لكن المقصود هنا بالراقدين في تراب الأرض اليهود المشتتون سيجمعهم الرب بعضهم يرجع رجوعًا قوميًا فقط كالذين في دولة إسرائيل الآن والبعض الآخر يرجعون رجوعًا قوميًا وروحيًا فهؤلاء للحياة الأبدية أي الملك الألفي**»(٣).

ونص دانيال لا يشير إلى البعث الأخروي كما رجحنا في نص «أشعياء» بدليل أن قوله وكثيرون من الراقدين.. لا يمكن أن تشير إلى البعث الأخروي، لأن البعث الأخروي عام وشامل..

يقول صاحب الديانات والعقائد: «**ولئن كانت كلمة دانيال أو نبوءته تذكر اليقظة التي هي العودة إلى الحياة فليست البعث الذى يتم في اليوم الآخر بدليل أن الذين يستيقظون ليسوا هم الراقدون جميعًا بل كثيرون منهم هم الذين يستيقظون وإذا كانت اليقظة غير عامة شاملة فليست بعثًا لليوم الآخر**»(٤).

---

(١) الأمانات والاعتقادات: سعديا الفيومي ص (٢٢٩).

(٢) دانيال ١٢ - ٢.

(٣) أشعياء مفصلاً آية آية - ناشد حنا (١/ ٢٤٥).

(٤) الديانات والعقائد في مختلف العصور (٢/ ٢٤٣) أحمد عبد الغفور عطار - الطبعة الأولى ١٩٨١ - مكة المكرمة.

أما نص حزقيال «أيتها العظام اليابسة اسمعي كلمة الرب هكذا قال السيد الرب هذه العظام ها أنذا أدخل فيكم روحًا فتحيون وأضع عليكم عصبًا وأكسيكم لحمًا وأبسط عليكم جلدًا وأجعل فيكم روحًا فتحيون وتعلمون أني أنا الرب»(١).

يقول رشاد فكري في تفسيره لسفر حزقيال: «هذه الأعداد تتكلم عن رجوع الشعب وإحيائهم كأمة يتمتعون بالبركات الإلهية فالموضوع هنا ليس رجوع النفس ولا القيامة الطبيعية لكن عمل الله في إسرائيل لكي يحيا مرة أخرى كأمة(٢).

ونفس المعنى الذى ذهب إليه رشاد فكري ذكره مؤلفو قاموس الكتاب المقدس: وإن كنت أرى أن ظاهر النص شديد الدلالة على البعث والحياة بعد الموت «أدخل فيكم روحًا تحيون وأضع عليكم عصبًا وأكسيكم لحمًا وأبسط عليكم جلدًا»(٣).

هذه عبارات واضحة تدل على البعث وتبين قدرة الله على ذلك.

«وتعلمون أني أنا الرب، ولا أدري لماذا عدل مفسرو النصارى عن القول بأن نص «حزقيال» يشير إلى البعث الأخروي. ورجحوا دلالة النص على البعث القومي السياسي. ونحن هنا نستأنس بآراء مفسري النصارى فقط لأن آراء النصارى ليست ملزمة لليهود.

وهناك اتجاه آخر يذهب إلى أن الإشارات السابقة في أسفار الأنبياء تشير إلى البعث الأخروي وأن الاعتقاد بالآخرة لم يكن له وجود قبل عصر الأنبياء.. ورد في علم اللاهوت الكتابي «أن الاعتقاد بالآخرة مثله مثل التوحيد في العهد القديم كلاهما من اختراع الأنبياء وهذا معناه أنه لم يكن هناك توحيد أخلاقي قبل

(١) سفر حزقيال ٣٧: ٤ ـ ٧.
(٢) تفسير حزقيال ص (٣٢١ ـ ٣٢٢) رشاد فكري ـ مكتبة كنيسة الأخوة ـ وانظر قاموس الكتاب المقدس ص (٧٤٩).
(٣) حزقيال ٣٧: ٤- ٧.

عصر الأنبياء فإنه لم يكن قبل ذلك وجود للاعتقاد بالآخرة[١].

ولكن هذا الاتجاه يذهب إلى أن اليهود تأثروا بعقيدة اليوم الآخر من الأمم الأخرى كالفارسية والبابلية.. يرى مؤلف تراث العالم القديم أنه حتى عشية النفي كانت الأمة مسئولة عن خطايا أعضائها وكان البريء والمذنب على السواء ينالهما الجزاء الذى يقع على المجتمع ثم حدث مع النفي تغير وأصبحت مطالب الفرد في عدالة «يهوه» تلح إلحاحًا يطرد ازديادًا لإرضائها. وقد رأينا أن مفكرين كمؤلف سفر أيوب جاهد على غير طائل للوصول إلى جواب عن المسألة التي كانت وطأة الاضطهاد في عهد أنطيوخوس هي التي فرضت الاعتقاد في البعث على العقل اليهودي، ولقد كان قاصرًا قبل ذلك الوقت على أقلية صغيرة تأثرت فيما يرجح بالاتصال بالأفكار الزرادشتية في عهد الحكم الفارسي إن النصوص الواردة في العهد القديم التي تشير إليه قليلة ومتأخرة[٢].

ويذهب إلى هذا الرأي ـ أيضًا ـ أى تأثر اليهود بالبعث من الاتصال بالفرس وبابل (جرها ردوش فوس) بقوله: **«إن الإيمان العبراني كما أنه تأثر في أمور كثيرة بالمعتقدات السائدة، تأثر أيضًا فيما يختص بالآخرة»[٣].**

يقول الدكتور كامل سعفان: **«وإذا كان دانيال قد أشار إلى يوم البعث والجزاء بقوله «كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي فهذا دليل على ما أصاب التوراة من تحريف أو تزييف[٤].** ولقد ذكرنا من قبل كيف استدل بعض الباحثين بنص دانيال على أنه إشارة إلى

---

(١) علم اللاهوت الكتابي (٢/ ٤٤٣) تأليف جرهاردوش فوس ـ ترجمة الدكتور عزت زكي ـ الناشر دار الثقافة ١٩٨٢م.

(٢) تراث العالم القديم (١/ ٩٩) تأليف ز. ح ـ دي بورج ـ الناشر دار الكرنك ١٩٦٥م.

(٣) علم اللاهوت الكتابي (٢/ ٤٤٦).

(٤) اليهود تاريخًا وعقيدة ص (١٦١).

البعث القومي.. لأن البعث الأخروي عام وشامل ونص دانيال فيه «كثيرون من الراقدين في التراب» ولعل أصلها الصحيح قبل التحريف «الكثيرون الذين رقدوا في تراب الأرض» ويكون المعنى حينئذ مشيرًا إلى البعث الأخروي، ولكن اليهود مارسوا عملية التحريف والتبديل في نصوص الأسفار.

ويذهب الدكتور كامل سعفان إلى احتمال آخر وهو التأثر بالفرس في عقيدة البعث والجزاء.. يقول عن أسباب التحريف في النصوص: «إنه أثر الاتصال بالديانة الزرادشتية زمن الأسر الطويل وإبان الاتصال بدولة الفرس في عهد قورش وهو احتمال يؤكده العبث بالأصل السماوي[(١)].. وسوف نناقش عملية التأثر تلك عند عرضنا لرأي صاحب قصة الحضارة.

يقول وول ديورانت: «لم تبن فكرة البعث في خلد اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض ولعلهم أخذوا الفكرة عن الفرس أو لعلهم أخذوا شيئًا منها على المصريين ومن هذه الخاتمة الروحية ولدت المسيحية»[(٢)].

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب في تعليقه على عبارة «ديورانت» الأخيرة: «هكذا يقول ديورانت ونحن نخالفه في هذا فإن شريعة موسى ولا شك قد حملت إلى بني إسرائيل صورة واضحة عن البعث والحساب والجنة والنار وإن كان بنو إسرائيل قد عبثوا بهذه الصورة في عهد من عهودهم فإنهم حين جددوا العهد والتمسوا الحياة الآخرة فيه كان أقرب شيء إليهم هو ما في شريعة موسى المكتوبة في الصحف أو المحفوظة في بعض الصدور فذلك أقرب إليهم بلا شك من أن يلتمسوا هذه الصورة عن الحياة الآخرة بين الأمم الأخرى التي تعد ذات ديانات وثنية بالنسبة للديانات الموسوية[(٣)].

والحق ما ذهب إليه الأستاذ (الخطيب) فإنه مهما كان التحريف في عهد من عهود اليهود فإن احتمال رجوعهم إلى شريعة موسى أقرب من رجوعهم

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) قصة الحضارة (٢/ ٣٤٥)، وانظر تراث العالم القديم (١/ ٩٨ - ٩٩).

(٣) المصدر السابق.

إلى غيرهم من الأمم الوثنية، وإذا كانت الإشارات التي وردت في أسفار الأنبياء المتأخرين محتملة كما رأينا أو يزعم أن اليهود تأثروا فيها بغيرهم من الأمم الوثنية.. فإننا نستطيع أن نجد بعض الأدلة على البعث بطريق غير مباشر هذه الأدلة تتضح من عدة نماذج لإحياء الموتى كمعجزات للأنبياء»(١).

وبعد أن استعرضنا الإشارات التي وردت في أسفار الأنبياء عن البعث نجد أنها لا تقدم صورة مسهبة ومفصلة تتناسب مع الأصل العقائدى الهام الذى يتمثل في الاعتقاد باليوم الآخر وإذا أردنا أن نحدد بدقة أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين ما ورد في العهد القديم وما ورد في القرآن الكريم فإن أوجه الاتفاق تتمثل في:

أولًا: أن أصل فكرة البعث مبثوثة في العهد القديم كإشارات مجملة ولا تعطي تصورًا مفصلاً عن الآخرة وما فيها.

ثانيًا: أن بعض الإشارات كالتي وردت في سفري أشعياء وحزقيال تتفق بوجه من الوجوه مع بعض ما ورد في القرآن من قيام الناس لله رب العالمين.

أما أوجه الاختلاف، فتتمثل في:

أولًا: إن العهد القديم لا يقدم تفصيلات تذكر كالتي يذكرها القرآن الكريم من إرهاصات يوم القيامة ونسف الجبال وتبديل الأرض غير الأرض.. والسموات.. كما لا يشير إلى نفخ الصور كما تحدث القرآن الكريم وتحدثت الأناجيل.

ثانيا: إن العهد القديم لا يقدم أي تصور مفصل عن خروج الناس من القبور سراعًا ولا عن كيفية بعثهم ونشرهم يوم القيامة.. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على التحريف الذى لحق بالتوراة الأصلية التي أنزلها الله على موسى والكتب التي نزلت على الأنبياء من بعده.

(١) سنتحدث عن هذه الحالات تفصيلاً عند مبحث الاستدلال على اليوم الآخر عند اليهود.

ويدلنا أيضًا أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذى يرجع إليه ويحتكم له عند الاختلاف بين ما في الكتب السابقة وبين ما في القرآن وصدق الله إذ يقول ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر :٩] .

* * *

الاتجاه الثالث

يتمثل هذا الاتجاه في عرض النصوص التي تثبت البعث من التلمود والكتب اليهودية التي تتحدث عن العقائد اليهودية.

وتجدر الإشارة إلى أن اليهود يقررون أن التلمود يتحدث عن المعاد لأن التوراة لم تفصح عن المعاد إفصاح التلموديين خصوصًا بعد عودتهم من سبي بابل[١]. وإن كنت لم أعثر على نصوص من التلمود تتحدث عن البعث وكيفيته فإن هذا لا يعني أن التلمود لم يتحدث عن البعث وكيفيته، وعذري في ذلك أن التلمود من الكتب النادرة الوجود.

يقول الأستاذ شوقي عبد الناصر: «**إن التلمود ومعناه: كتاب تعاليم اليهود وآدابهم من أندر الكتب الموجودة في عالمنا على الإطلاق وأستطيع أن أؤكد أنه لا يوجد منه في العالم أجمع أكثر من خمس نسخ**»[٢].

وإذا تركنا التلمود فإننا نجد مفكري اليهود وعلماءهم يقرون بالبعث والقيامة.. يقول سعديا الفيومي: «**إن إحياء الموتى الذى عرفنا ربنا أنه يكون في دار الآخرة للمجازاة فذلك مما أمتنا مجمعة عليه**»[٣].

ويبين السبب في ذلك بقوله «**لأن المقصود من جميع المخلوقين هو الإنسان وسبب تشريفه الطاعة وثمرتها الحياة الدائمة في دار الجزاء**»[٤].

---

(١) التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص (٩٠، ٩١).
(٢) بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود ص (١، ٢).
(٣) الأمانات والاعتقادات ص (٢١١).
(٤) نفس المصدر السابق ص (٢١٣).

ويواصل حديثه عن البعث قائلاً: ورأينا إحياء الموتى ولا شاهد يدفعه، لأنه ليس نقول يحيون من ذواتهم وإنما نقول إن خالقهم يحييهم ثم لا العقل يرده من أجل أن إعادة شيء قد كان فتفرق أقرب من المعقول من اختراع شيء لا من شيء[١].

وموسى ابن ميمون اليهودي يقرر أن البعث والقيامة من الأموات من أركان الإيمان عند اليهود وقد نقلها عن ابن ميمون الدكتور حسن ظاظا.. يقول ابن ميمون: «**أنا أؤمن**[٢] إيمانًا كاملاً بقيامة الموتى في الوقت الذى تنبعث فيه بذلك إرادة الخالق تبارك اسمه وتعالى ذكره الآن وإلى أبد الآبدين»[٣].

وعقيدة الآخرة نجدها مبثوثة في ثنايا كتب اليهود إذ يعبرون بأن الغرض الأسمى نيل السعادة في الآخرة.

جاء في كتاب شعار الخضر في الأحكام الإسرائيلية قول مؤلفه: «**إن جل قصد شريعتنا الإلهية هو أن ينال الإنسان السعادة الأبدية**»[٤]. وجاء في مقدمة كتاب التاريخ مما تقدم عن الآباء «**رزقنا الله الممات على حفظه وحب هذا النبي العظيم**» أي موسى عليه السلام وحشرنا في زمرته ولا جعلنا من المبعوثين في هذه الدار من أمته المحرومين في الآخرة من شفاعته[٥]. ومن فرق اليهود فرقة «الكوستانية» وهي فرقة من فرق اليهود المتأخرة تقر بالآخرة والثواب والعقاب[٦].

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) انظر الفكر اليهودي الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ص (١٥٧) وما بعدها ويذهب الدكتور ظاظا إلى أن موسى بن ميمون تأثر بالمسلمين في عقيدة الآخرة.

(٣) نقلاً عن الفكر الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ص (١٥٩).

(٤) شعار الخضر في الأحكام الشرعية الإسرائيلية للقرائين ص (٧) تعريب مراد فرج ـ مطبعة الغرائب بمصر ١٩١٧م.

(٥) نقلاً عن مقدمة يقظة أولي الاعتبار ص (١٢).

(٦) الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٤٨).

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك بعض الفرق اليهودية تنكر البعث والآخرة ومن هذه الفرق «الصدوقيين» نسبة إلى صدوق أو صادوق بمعنى صادق رئيس الكهنة أيام داود وسليمان ومن عائلته حفظت رئاسة الكهنوت حتى عصر المكابين. فسمى أنصاره وخلفاؤه صدوقيين أو بمعنى [أصح]وكانوا ضد تقليد الآباء على عكس الفريسيين خصومهم ومالوا إلى الفلسفة اليونانية ومدافعة الشر وأنكروا وجود الملائكة والروح ورفضوا الإقرار بالقيامة والثواب في الجسد بدعوى أن النفس تموت مع الجسد وأن النص التوراتي يخلو من أي إشارة إلى معاد وحساب(١).

ونلاحظ أن عدم إيمان الصدوقيين بالقيامة راجع إلى عدم إيمانهم بالتعاليم الشفوية كالتلمود الذى يعتقده سائر اليهود غيرهم، ولما كانت التوراة لم تتحدث عن القيامة فقد تمسكوا بها ورفضوا التلمود وتعاليم الآباء الشفوية بما فيها من ذكر للبعث والقيامة وهناك بعض الفرق اليهودية التي تنكر البعث والقيامة في الآخرة وتؤمن بأن الثواب والعقاب في الدنيا من هذه الفرق الدوستانية. يقول الشهرستاني «**الدوستانية تزعم أن الثواب والعقاب في الدنيا**(٢)».

* * *

(١) الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص (١٣٥) للدكتور عبد المنعم الحفني - دار المسرة - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٠، وانظر الفكر الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ص (٢٥٩) وانظر عبقرية المسيح للعقاد ص (٢٢) نشر كتاب اليوم ١٩٥٣ وانظر دينونة البشر العامة ص (٥١، ٥٢).
(٢) الملل والنحل للشهرستاني بهامش الفصل (٢/ ٤٨).

تعقيب على البعث عند اليهود

بعد عرضنا للاتجاهات الثلاثة التي مرت يمكن أن نخرج بالنتائج الآتية:

أولًا: إن خلو التوراة الحالية من الحديث عن البعث والآخرة وما يسبقها من نفخ في الصور وما يصاحبها من نسف الجبال، وتبديل الأرض غير الأرض والسموات، وما يقع فيها من حساب وجزاء وجنة ونار، يدل على التحريف الذى لحق بالتوراة بعد موسى عليه السلام، لأن أمور البعث والآخرة أنزلها الله على موسى في التوراة مفصلة.

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام :١٥٤] .

ولما كان اليهود قد سيطرت عليهم النزعة المادية التي جعلتهم يتعلقون بالدنيا، ومتاعها كتموا ما أنزل الله في التوراة من ذكر للآخرة، وما فيها وبقيت صورة مضطربة ليس لها ما يسندها من نصوص مكتوبة تتعلق بمستقبلهم عند الله بعد الموت، ومن هنا نفسر كراهية اليهود للموت، وما بعده لئلا يشغلوا بالآخرة عن الدنيا ومتاعها التي سيطرت عليهم سيطرة تامة، يتضح ذلك في التوراة الحالية المحرفة.

ولقد تحداهم القرآن الكريم أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين في إيمانهم وما أعده لهم.

ثانيًا: إن أسفار الأنبياء المتأخرة أشارت إلى البعث إشارات عابرة ولكن تلك الإشارات لا تعطي تفصيلات مناسبة عن اليوم الآخر تتناسب مع ذلك الركن العقدي الهام.. خاصة وأن تلك الأسفار مليئة بالحديث عن تفصيلات الحياة الدنيا من أمور الزراعة، والمعاملات بين اليهود وغيرهم من الأمم وأيضًا

أمور الحرب والقتال وغير ذلك من الأمور التي تعتبر أقل أهمية من الآخرة التي كان يجب أن تحتل مكانة كبيرة في أسفار اليهود ولكن التحريف والتبديل سبب كثيرًا من المفارقات عند اليهود.

ثالثًا: إن علماء النصارى شاركوا اليهود في التحريف للنصوص فإن كنا ذهبنا إلى أن اليهود حرفوا النصوص الواردة في العهد القديم عن الآخرة وما فيها بكتمانها وعدم إثباتها.. فإن النصارى أيضًا شاركوا في التحريف بتأويل البقية الباقية من الإشارات عن اليوم الآخر في أسفار الأنبياء بصرفها عن البعث الأخروي إلى البعث القومي السياسي بالرغم من صراحة بعض النصوص كنص «أشعياء»(حزقيال».. ونحن نتعرض للنصارى ومشاركتهم في التحريف وإن كان التعقيب على البعث عند اليهود.. وذلك لأن النصارى تعتقد في قدسية العهد القديم ويستدلون بنصوصه في تصوير كافة عقائدهم[1]. وهذا ما جعلنا نعلق على مسلك النصارى في تأويل نصوص العهد القديم مع علمنا بأن تفسيراتهم ليست ملزمة لليهود وإنما نستأنس بما قيل حول النصوص لا أكثر من ذلك.

رابعًا: إن التلمود وتعاليم الآباء الشفوية كانت مصدرًا من أهم المصادر لدى اليهود في تصورهم للآخرة وما فيها من بعث للأموات وثواب وعقاب.

خامسًا: إن اليهود باستثناء بعض الفرق كالصدوقيين يقرون بالبعث على نحو ما ورد في أسفار الأنبياء المتأخرة. والتلمود والتعاليم الشفوية التي يدعون انتقالها عن الآباء الذين كانوا قبل موسى وبعده.

سادسًا: إن اليهود على عهد النبي ﷺ كانوا يؤمنون بالآخرة.

روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: «جاء حبر إلى

---

(١) لسنا في مجال مناقشة النصارى في قدسية العهد القديم مع أنهم يخالفون كثيرًا من الأمور الواردة فيه.

تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام :١٤٣-١٤٤].

يقول القرطبي: نزلت الآية في «مالك بن عوف» وأصحابه حيث قالوا ما حكاه القرآن عنهم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ﴾ [الأنعام :١٣٩]، فنبّه الله عز وجل نبيه والمؤمنين بهذه الآية على ما أحله لهم لئلا يكونوا بمنزلة من حرم ما أحل الله [(١)].

يذكر السيوطي أن الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة أخرى رد الله عليهم بطريق السبر والتقسيم فقال إن الخلق لله تعالى خلق من كل زوج مما ذكر ذكرًا وأنثى فممَّ جاء تحريم ما ذكرتم أي ما علته؟ لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة. أو اشتمال الرحم الشامل لهما. أو لا يدري له علة وهو التعبدي بأن أخذ ذلك عن الله تعالى. والأخذ عن الله تعالى إما بوحي أو إرسال رسول. أو سماع كلامه ومشاهدة تلقي ذلك عنه وهو معنى قوله: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ﴾ [الأنعام :١٤٤] ، فهذه وجوه التحريم لا يخرج عن واحد منها.

الأول: يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حرامًا.

ثانيا: يلزم عليه أن تكون جميع الإناث حرامًا.

الثالث: يلزم عليه تحريم الصنفين معًا، فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة، وبعض في حالة أخرى؛ لأن العلة على ما ذكر تقتضي إطلاق التحريم.

---

(١) القرطبي (١١٣/٧).

الاستدلال علي الآخرة عند اليهود

أولاً: أدلة الإمكان:

كما سبق أن أوضحنا عند البعث كواقعة من واقعات الآخرة عند اليهود أن الإشارات عنه في أسفار الأنبياء قليلة كما أن التوراة تخلو من الإشارة إليه وناقشنا ذلك عند الحديث عن البعث عند اليهود.

وفى هذا المبحث نحاول أن نستخلص ما يمكن اعتباره استدلالاً على البعث من ناحية الإمكان في الإشارات القليلة الواردة في أسفار الأنبياء المتأخرين في العهد القديم.

ورد في أشعياء: «**تحيا أمواتك تقوم الجثث استيقظوا يا سكان التراب لأن طلك طل أعشاب والأرض تسقط الأخيلة**»[١].

والنص وإن ذهب البعض[٢] إلى أنه إشارة إلى القيامة السياسية لليهود إلا أننا نرى أنه يشير إلى البعث لأنه شبه اليهود بعشب قد يبس ثم نزل عليه المطر أى نعمة الله فانتعش واستيقظ وبعث بعد الموت، وهذا النص يشبه إلى حد ما بعض ما ورد في القرآن الكريم من أدلة على بعث الموتى من قبورهم.. بالقياس على خروج الزرع من الأرض الميتة بعد نزول المطر عليها.

وهناك نص آخر في سفر «حزقيال» يشير إلى إمكان البعث بعد الموت وهو: «**أيتها العظام اليابسة اسمعى كلمة الرب هكذا قال السيد الرب لهذه العظام ها أن ذا أدخل فيكم روحًا فتحيون وأضع عليكم عصبا وأكسيكم لحمًا وأبسط عليهم جلدًا وأجعل فيكم روحًا فتحيون وتعلمون أنى أنا الرب**»[٣].

وهذا النص فسره البعض بأنه إشارة إلى قيامة اليهود سياسيًا.

---

(١) أشعياء ٢٦ ـ ١٩.

(٢) انظر أشعياء مفصلاً آية آية (١/ ٢٤٤).

(٣) حزقيال ٢٧: ٤ ـ ٧.

إلا أننا نرى أن النص ظاهر الدلالة على الآخرة ويشبه إلى حد ما قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء :٥٢] .

ولا يزعجنا هذا التشابه بين ما في العهد القديم وبين ما نرى أنه يشبهه في القرآن الكريم ما دمنا معترفين أن للعهد القديم أصل سماوى انحرف اليهود عنه.

ويستدل علماء اليهود على إمكان البعث بأدلة القدرة والإبداع لا على مثال سبق.. يقول سعديا الفيومى في معرض استدلاله على البعث وإمكانه وعدم صعوبته على الله **«لا نعلم يهوديًا يخالف هذه الأمانة»** البعث بعد الموت **«ولا يستصعب عند عقله كيف يحى ربه الموتى إذ قد صح له أنه خلق شيئا من لا شيء فلا يجوز أن يتعسر له أن يعيد شيئًا من أشياء متفرقة»**[1] .

ويقول: **«ورأينا إحياء الموتى ولا شاهد يدحضه لأنه ليس نقول يحيون من ذواتهم وإنما نقول إن خالقهم يحييهم ثم لا العقل يرده من أجل أن إعادة شيء قد كان فتفرق أقرب من المعقول من اختلاق شيء لا من شيء»**[2] .

ونلاحظ أن استدلال سعديا الفيومى على إمكانية البعث بالقياس على النشأة الأولى للإنسان هذا الاستدلال هو الذى ذكره القرآن الكريم في قوله سبحانه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم :٢٧] .

وعلماء الكلام من الأشاعرة يستدلون بالآية السابقة على البعث، لأن الإعادة مرة ثانية أيسر من النشأة الأولى. ويبدو أن الاستدلال بالنشأة الأولى على البعث عند الأشاعرة **«وسعديا الفيومى»** جعل بعض الباحثين يذهبون إلى أن سعديا تأثر بعلماء الكلام في كتابه **«الأمانات والاعتقادات»** ويلاحظ **«أنه اتخذ منهجه من الأشعرية ومادته من المعتزلة»** وقد كتب سعديا الفيومى فلسفته الكلامية

---

(١) الأمانات والاعتقادات ص (٢١١).

(٢) نفس المصدر السابق ص (٢١٣).

في كتاب بالعربية اسمه «الأمانات والاعتقادات» والأمانات تشير إلى العقائد الدينية والاعتقادات تشير إلى المعارف المكتسبة بواسطة البحث العقلى ويذكر «فيدا أن سعديا الفيومى تابع الكلام المعتزلى إن في تنسيق أبواب الكتاب وإن في مادته»[١].

استدلالات «سعديا الفيومى» واضحة الدلالة على تأثره بالفكر الإسلامى.

ثانيًا: أدلة الوقوع:

يذكر العهد القديم بعض الوقائع التي تعتبر برهانا عمليا على البعث من الموت، ورد في سفر الملوك الأول «وبعد هذه الأمور مرض أبو المرأة - صاحبة البيت - واشتد مرضه جدًا حتى لم تبق فيها نسمة. فقالت لإيليا ما لى ولك يا رجل الله هل جئت إلى لتذكير إثمى وإماتة ابنى فقال لها أعطينى ابنك وأخذه من حضنها وصعد به إلى العلية التي كان مقيما بها وأضجعه على سريره وصرخ إلى الرب وقال يا أيها الرب إلهى أيضًا إلى الأرملة التي أنا نازل عندها قد أسأت بإماتتك ابنها تمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ إلى الرب وقال يا رب إلهى لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه فسمع الرب لصوت إيليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه»[٢].

ولسنا بصدد مناقشة اليهود في التطاول على الله المتمثل في قول إيليا في مناجاته لله: قد أسأت بإماتتك ابنها، وإنما نحن بصدد الاستدلال بذلك النص على وقوع الحياة بعد الموت[٣].

ومع أن النص لم يربط مباشرة بين إحياء الصبى من الموت في الدنيا والبعث في الآخرة إلا أننا نفهم من فحوى النص أنه يدل على وقوع البعث في الآخرة.

---

(١) الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية ص (٢١ - ٢٢)، الدكتور على سامي - الناشر عباس الشربيني - الناشر منشأة دار المعارف بالإسكندرية.

(٢) الملوك الأول ١٧: ٧ - ٢٤.

(٣) السنن القويم (٤/ ٣٣١ - ٣٣٢).

ورد في سفر الملوك الثانى حالتان للبعث بعد الموت:

الحالة الأولى:

ورد في سفر الملوك الثانى: ودخل إليشع البيت وإذا بالصبى ميت ومضطجع على سريره فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلى إلى الرب ثم صعد واضطجع فوق الصبي ووضع فمه على فمه وعينيه على عينيه ويديه على يديه وتمدد عليه فحن جسد الولد ثم عاد وتمشى في البيت تارة إلى هنا وتارة إلى هناك وصعد وتمدد عليه فعطس الصبى سبع مرات ثم فتح الصبى عينيه فدعا حيجزى وقال ادع هذه الشونمية فدعاها ولما دخلت إليه قال احملى ابنك. فأتت وسقطت على رجليه وسجدت إلى الأرض ثم حملت ابنها وخرجت(١).

وهذه الواقعة تدل على إحياء إليشع للصبى الذى كان قد مات موتا حقيقيا وسجود أمه للرب ولأنها رأت قوته في العمل واعترفت أيضا بأن إليشع نبى الله لأنه أحيا ابنها من الموت(٢).

الحالة الثانية:

وهذه الحالة ليس فيها أن حيًا أقام ميتًا ولكن الميت أقام ميتًا.

ورد في سفر الملوك الثانى: **«ومات إليشع فدفنوه وكان غزاة موآب تدخل على الأرض عند دخول السنة وفيما كانوا يدفنون رجلًا إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل في قبر إليشع فلما نزل الرجل ومس عظام إليشع عاش وقام على رجليه»**(٣).

ويفسر صاحب السنن القويم هذا النص بقوله **«وفيما كانوا يدفنون إسرائيليًا فرأوا الغزاة فلم يكملوا أعمالهم حسب المقصود بل طرحوا الميت في القبر الذى كان**

---

(١) سفر الملوك الثاني ٤: ٣٢ - ٣٨.

(٢) السنن القويم (٤/ ٣٧٥).

(٣) سفر الملوك الثاني ١٣: ٢٠ - ٢٢.

أقرب من غيره وهو قبر إليشع وبما أن المقصود بهذه المعجزة التي ليست لها مثال في الكتاب المقدس أن يتذكروا تعليم إليشع وهو حى وأن يتذكروا أن الرب موجود وقوته غير المحددة موجودة وإن كان نبيه قد مات وأعظم شيء في هذه المعجزة أن الميت أحيا ميتًا»[١].

ولسنا أيضًا بصدد مناقشة كيف أن الميت أحيا ميتا ولكن النص يدل على أن أحد الأموات قد بعث حيًا بعد موته وقد حدث هذا أمام الناس.. فالله الذى أحياه قادر على أن يحيي الناس أجمعين للقيامة.

وهذه الحالات الثلاث في سفر الملوك الأول والثانى هى التي يستدل بها الأنبا يؤانس على أن العهد القديم يذكر ثلاث حالات تتضمن برهانا عمليا على البعث من الموت[٢].

ثالثًا الطريقة الوجدانية:

نظرًا لعدم الإسهاب في النصوص التي تتحدث عن الآخرة والاستدلال عليها في العهد القديم فإننا نحاول جاهدين العثور على أى إشارات وجدانية تخاطب اليهود ـ للعمل لما عند الله– والفوز بنعيمه، والنجاة من عذابه، وهناك بعض النصوص في المزامير من الممكن اعتبارها تمثل جانبًا وجدانيا في معرض استدلالنا على الآخرة عند اليهود.

ورد في المزامير: «**أما أنا فالبر أنظر وجهك أشبع إذا استيقظت بشبهك**»[٣].

«**لأنك لن تترك نفسى في الهاوية لن تدع تقيك يرى فسادا فعرفنى سبيل الحياة أمامك شبع وسرور في يمينك نعيم إلى الأبد**»[٤].

---

(١) السنن القويم (٤/ ٤١٠).

(٢) انظر السماء للأنبا يوانس ص ٩٩.

(٣) المزامير ١٧ ـ ٢٥.

(٤) المزامير ١٦: ١٠ ـ ١١.

«إنما الله يفدى نفسى من يد الهاوية لأنه يأخذنى»[١].

«برأيك تهدينى وبعد إلى مجد تأخذنى من لى في السماء ومعك لا أريد شيئًا في الأرض»[٢].

هذه إشارات ضمنية[٣] عن البعث والنعيم عند الله يمكن اعتبارها طريقة وجدانية تحرك النفس البشرية للاعتقاد بالآخرة والعمل لها.

تعقيب علي الاستدلال على الآخرة بين اليهودية والإسلام:

بعد عرضنا للاستدلال على الآخرة عند اليهود نستطيع أن نبين أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين اليهود والمسلمين في طريقة الاستدلال:

أوجه الاتفاق:

أولًا: إن بعض الإشارات الواردة عن البعث خاصة في سفرى أشعياء و«حزقيال» تشبهان إلى حدما ما ورد في القرآن الكريم عند الاستدلال على الآخرة من قياس خروج الموتى على خروج الزرع من الأرض الميتة.

ثانيًا: تشابه استدلال علماء اليهود على البعث مع استدلال علماء الإسلام من قياس النشأة الثانية وهوانها على الله على النشأة الأولى، وهذا ما جعلنا نرجح تأثر اليهود بعلماء الإسلام في هذه القضية وأوضح مثال على ذلك **«سعديا الفيومى»** في كتابه **«الأمانات والاعتقادات»**.

ثالثًا: أدلة الوقوع تتشابه مع ما ورد في القرآن الكريم من نماذج عرضها الله عز وجل للذين بعثوا بعد موتهم وأيضًا الأدلة الوجدانية، ولا يزعجنا هذا التشابه ما دمنا نعترف بأن لليهود كتابًا سماويًا انحرفوا عنه وقد تكون تلك التشابهات من بقايا الأصل السماوى الذى لم يحرف.

---

(١) المزامير ١٥-٤٩.

(٢) المزامير ٧٣: ٢٤ ـ ٢٥.

(٣) انظر قاموس الكتاب المقدس ص (٧٤٨ ـ ٧٤٩).

أوجه الاختلاف:

أولًا: مما يختلف فيه التصور الإسلامى عن التصور اليهودى في الاستدلال على الآخرة أن الإشارات عن الآخرة غير وافية ولا تعطى تفصيلا لكثير من الجوانب التي تتعلق بأهم ركن عقائدى بعد الإيمان بالله.. بعكس القرآن الكريم الذى فصل كل ما يتعلق بالاستدلال على الآخرة من جميع النواحى العقلية والوجدانية والعملية.

ثانيًا: إن أسفار موسى الخمسة تخلو تماما عن أى إشارة إلى الآخرة وما فيها.

ثالثًا: لا نجد في العهد القديم ما نجده في القرآن الكريم من عرض لشبه المنكرين للآخرة والرد عليهم وإقامة الحجج والبراهين على الآخرة وما فيها من نعيم للأبرار وجحيم للأشرار.

تصور اليهود للجنة والنار

أولاً: الجنة:

ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة فردوس:

«**الفردوس الأصلى الذى رتبه الله للإنسان قبل سقوطه**[١] ووضع في وسط شجرة الحياة وأطلقت الكلمة على كل بستان في قصور الملوك»[٢].

وورد فيه تحت كلمة «**جنات**» جنات بساتين معدة للانشراح واللذات منها جنات الملك سليمان[٣] وفيها سواقٍ وينابيع[٤] وكانت هذه الجنات مصونة لكى لا يدخلها الغريب[٥].

(١) سفر التكوين ٢: ١٠، ١٣: ١٠.
(٢) قاموس الكتاب المقدس ص (٢٧٥).
(٣) سفر الجامعة ٢: ٥ ونشيد الأنشاد ٤: ١٣.
(٤) عدد ٢٤: ٦ وجامعة ٢: ٥.
(٥) قاموس الكتاب المقدس ص (٢٧٥ - ٢٧٦).

والملاحظة التي نسجلها هنا هي أن العهد القديم عند الحديث عن الجنة لم يشر من قريب أو بعيد إلى أنها المكان الذى يثاب فيه الصالحون يوم القيامة واليهود يعترفون بذلك ويعتبرون أن خلو التوراة من الحديث عن الثواب والعقاب لا يضره[١].

وإذا كان العهد القديم لن يتحدث عن الثواب للصالحين في الآخرة فلدينا بعض النصوص في التلمود التي تتحدث عن جزاء الصالحين يوم القيامة.

فعن مساحة الجنة ورد في التلمود «**مساحة مصر أربعمائة ميل طولًا وعرضًا وأرض الموريين تكبر مصر ستين مرة والمعمورة تكبر أرض المعمورة ستين مرة والجنة تكبر المعمورة ستين مرة**»[٢].

وعن نعيم الجنة جاء فيه «**الجنة ليست مثل هذه الأرض لأنه لا أكل فيها ولا شرب ولا زواج ولا تناسل ولا تجارة ولا حقد ولا ضغينة ولا حسد بين النفوس بل الصالح سوف يجلس وعلى رأسه تاج ويستمتع برونق السكينة**»[٣].

ويقول سعديا الفيومى مؤكدًا النص السابق نقلوا لنا ـ أى الآباء ـ: «**أن دار الآخرة إنما الحياة فيها بالنور وليس مع ذلك طعام ولا شراب ولا غشيان ولا تناسل ولا شرى ولا بيع ولا سائر الأمور التي في الدنيا وإنما ثواب من نور الخالق عز وجل**»[٤].

ويقول: «**دار الآخرة إذ لا غذاء فيها ولا تكسب فلا معنى لرياض ولا لنبات ولا للأنهار ولا للجبال ولا للأودية ولا شيء من هذه**»[٥].

ولكن إذا كان علماء اليهود يقررون أن الجنة لا طعام فيها ولا شراب فقد كان اليهود على عهد رسول الله ﷺ يسألون عن طعام أهل الجنة وشرابهم

(١) انظر تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث لابن كمونة ص (٤٠ ـ ٤٢)
(٢) التلمود وتاريخه وتعاليمه ص (٧٨).
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) الأمانات والاعتقادات ص (٢٦٣).
(٥) المصدر السابق نفسه.

ليروا مدى صدقه ﷺ.

وروى الإمام مسلم بسنده عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: «**كنت قائما عند رسول الله فجاء حبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني فقلت: ألا تقول رسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ** إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي، فقال اليهودي: جئت أسألك فقال رسول الله ﷺ: أينفعك شيء إن حدثتك قال أسمع بأذني فنكث رسول الله ﷺ بعود معه فقال سل فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال رسول الله ﷺ هم في الظلمة دون الجسر. فقال فمن أول الناس إجازة؟ قال فقراء المهاجرين. قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم على إثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها. قال فما شرابهم عليه؟ قال من عين فيها تسمى سلسبيلاً قال صدقت[1].

ونحن نجد من خلال أسئلة اليهودى لرسول الله ﷺ أنه يسأل عن الجنة وطعام أهلها وشرابهم وكلما أجاب الرسول ﷺ قال اليهودى صدقت. لأن إجابة الرسول كانت موافقة لما يعتقده فهل كان اليهود على عهد رسول الله ﷺ يعتقدون في النعيم الحسي في الجنة؟ من الجائز، ويكون حديث التلمود والأمانات والاعتقادات يصور اعتقاد فرق من اليهود غير الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ هذا جائز أيضًا أو هو التبديل والتحريف الذى مارسه اليهود على اختلاف العصور للكتب التي أنزلها الله على أنبيائه؟

ونقرر هنا حقيقة هامة وهى أن حديث القرآن الكريم عن نعيم الجنة إنما هو خبر لا نسخ فيه ولا يحتمل إلا الصدق وعليه فيكون نعيم الجنة الذى

---

(١) صحيح مسلم (١/ ١٤٢) طبعة عيسى البابي الحلبي.

أخبر الله به موسى هو نفسه الذى أخبر به عيسى وهو الذى صدق الرسول ﷺ فيه.

وقولهم هذا أكبر دليل على تحريفهم ولذلك كذبهم الله وقال ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة :١١٢] .

ثانيًا: النار عند اليهود:

صور كتاب الأسفار المقدسة الجحيم كأنه مكان مظلم تحت الأرض[١] وله أبواب[٢] وهو مكان مظلم مخيف سكانه يشعرون ولكنهم في وجود بليد[٣] جامد تذهب إليه نفوس الجميع[٤] فيه القصاص[٥].

وكما سبق أن أوردنا بأن التوراة قد خلت من الحديث عن الثواب والعقاب ولكن التلمود تحدث عن بعض أوصاف الجحيم الذى يعذب فيه العصاة.. فمن الحاخامات من يرى «**أن الجحيم له أبواب ثلاثة**» باب في البرية وباب في البحر وباب في أورشليم، ويعلم التلمود أيضًا أن نار جهنم لا سلطان لها على مذنبى بنى إسرائيل ولا سلطان لها على تلامذة الحكماء الحاخامات.

ولكن بعض الحاخامات قالوا: إن الإسرائيليين الذين اقترفوا الذنوب سيذهبون مع الأجانب إلى نار جهنم ويمكثون فيها اثنى عشر شهرا وسوف تحرق روحهم مع الأجانب وسوف تثير الرياح أجزاءهم تحت نعال الصالحين[٦].

وورد في التلمود أيضًا: «**يعلم الشيوخ أن إبراهيم يجلس عند بوابة جهنم ويمنع**

---

(١) سفر العدد ١٦: ٢٠ ـ ٣٣.
(٢) أشعياء ٢٨: ١٠ ـ ٦.
(٣) صموئيل الثاني ٢٢: ٦ ..
(٤) تكوين ٣٧: ٣٥.
(٥) قاموس الكتاب المقدس ص٢٥٠.
(٦) التلمود تاريخه وتعاليمه ص٧٩.

أى شخص مختون من الدخول بينما يسقط غير المختونين في قرار الجحيم»[١].

ونظرًا لاعتقاد اليهود بأنهم أبناء الله وأحباؤه فإنهم لا يمكثون في النار أبدا وإنما هى فترة وجيزة يخرجون بعدها إلى الجنة.

وورد في التلمود «أن مصير الجميع من أبرار وأشرار إلى النعيم الخالد فالأبرار ينعمون به بعد الوفاة مباشرة والأشرار بعد استيفائهم الجزاء الذى حكم به عليهم لأن القصاص الأبدى لم يفرض سوى على جرائم معدودة كالانتحار وتضليل الأمة»[٢].

وهذا الرأى مع سابقه يصوره القرآن الكريم بقوله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران :٢٤].

يقول صاحب تفسير المنار عن الآية السابقة: قال الأستاذ الإمام: «والجملة عبارة عن استسهال العقوبة والاستخفاف بها اتكالا على اتصال نسبهم بالأنبياء واعتمادا على مجرد الانتساب إلى الدين وكانوا يعتقدون أن ذلك كاف في نجاتهم ومن استخف بوعيد الدين زاعما أنه خفيف في نفسه أو أنه غير واقع بمن يستحقه حتما تزول حرمة الأوامر والنواهى في نفسه فيقدم على ارتكاب المحارم بلا مبالاة ويتهاون في الطاعات المحرمة وهكذا شأن الأمم عندما تفسق عن دينها وتنتهك حرماته ظهر في اليهود ثم في النصارى»[٣].

---

(١) فضح التلمود تعاليم الحاخامات السرية ص (٩٨) بقلم الأب أي بي برانتيس. إعداد زهدي الفاتح . الناشر دار النفائس ١٩٨٣م.

(٢) التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص (١٤٣).

(٣) تفسير المنار (٣/ ٩ - ٢٢) الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.

فهرس

فهرس الموضوعات

* * *